
سلمان الفارسي
في مواجهة التحدي..
«دراسة وتحليل»

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الثالثة

١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

المركز الإسلامي للدراسات

سلمان الفارسي
في مواجهة التحدي..
«دراسة وتحليل»

السيد جعفر مرتضى العاملي

المركز الإسلامي للدراسات

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر.. الطبعة الثانية:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الموفق للصواب، وأفضل الصلاة وأتم التحية على محمد وآله الاطياب، وعلى من أخلص الطاعة لهم من الأصحاب.

وبعد: فان الناظر في تاريخ نبينا الأعظم وأهل بيته عليه عليهم أفضل الصلاة يخلص إلى قضية وهي: ان كل واحد من هذه الشخصيات الربانية كان بمثابة الشمس الساطع تحيط بها لكواكب لمتكاثرة تستمد من فيض شعاعها ما تعكسه على المتحيرين من البشر زحك يسيرون في حنادس هذه الدنيا المظلمة، كما قال تعالى: **(وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ)** ^(١).

ومن نجوم الهداية الزاهرة التي استتارت من منبعي النور النبوي والولوي سلمان الفارسي الذي كان بحق محمدياً في أخلاقه وسرته وحسن جديته.

وقد تفضل سماحة المحقق والعلامة المدقق صاحب التصانيف

(١) الآية ١٦ من سورة النحل.

المعرفة السيد جعفر مرتضى العاملي - رفع الله شأنه - بكتابة
مستفيضة سلط فيها الأضواء على هذه الشخصية الفذة من جميع
جوانبها، مجليا للمبهمات التي علقت بحياته لكريمة.

وقد تصدت مؤسستنا - والله الحمد - لطبع هذا السفر المبارك
ونشره وتقديمه للقراء الكرام، سائلين الله ان يوفق الجميع لما فيه
رضا وخدمة الدين انه نعم المولى ونعم المعين.

مؤسسة النشر الإسلامي

التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة

تقديم:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله
الطاهرين، وأصحابه الأخيار المنتجبين، واللعنة على أعدائهم
أجمعين، من الأولين والآخرين إلى قيام يوم الدين.

وبعد..

فإن هذا الذي نقدمه بين يدي القارئ ليس كتاباً، أريد له أن تتكامل
فصوله، وتتشابك مطالبه، وتنسجم مباحثه.

وإنما هو بحوث، أو بالأحرى مطالب ربط فيما بينها، نفس ذلك
الذي أثارها، أعني سلمان المحمدي <الفارسي> رضي الله تعالى
عنه، وسلام منه عليه وبركات.

ولا نريد: أن نطيل على القارئ الكريم في تاريخ ربما لا يهتم
بأمره كثيراً..

فإن الحقيقة هي: أن هذه مجموعة مطالب كتبت في بادئ
الأمر، لتكون جزءاً من كتابنا: <الصحيح من سيرة النبي الأعظم

«صلى الله عليه وآله»، وبالتحديد لتكون جانباً من الجزء الخامس منه، والذي لا يزال قيد الإعداد.

ولكن.. حين اتضح لدينا: أن هذه المطالب قد اتسعت وتضخمت، وأصبحت تشغل حيزاً كبيراً من كتاب: الصحيح، يجعله يخرج عن حالة التناسق، والانسجام، ولو بمستوى الحد الأدنى منه، - فإننا - لم نجد مناصاً من إفرادها عنه، لنقدمها على شكل كتاب (أو كتيب) مستقل عنه. على أمل أن يغض الأخوة القراء والباحثون الطرف عن الهنات، التي ألمحنا إليها آنفاً، فلربما يجدون عوضاً عنها بعضاً من القيمة، في جوانب أخرى منه، لعلهم سوف يرتاحون لإثارتها، تعجبهم المبادرة لمعالجتها.

ومهما يكن من أمر.. فإننا نقدم هذه البضاعة الزجاجة اليهم، وقد تقدمنا بالعدر على ما يجدونه فيها من تقصير أو قصور.. فإن الكمال لله وحده، وهو ولينا.. وهو الهادي إلى سواء السبيل.

قم المشرفة - ٢٤ شهر رجب ١٤٠٩ هـ.ق.

الموافق: ١٢ اسفند ١٣٦٧ هـ.ش

جعفر مرتضى العاملي

الباب الأول:
فصول من حياة سلمان..

الفصل الأول:

سلمان المحمدي في سطور

بداية:

إن دراسة حياة الأفاضل من الرجال، إنما تصبح ضرورة ملحة، حينما تكون فرصة لاستيعاب كثير من المعاني البناءة، وللتعرف على حقائق الحياة، والوقوف على عميق أسرارها، من خلال دراسة فكر ورؤية، ثم حركة وموقف هؤلاء القمم؛ ليكون ذلك رافداً ثراً للجانب العاطفي، ومسهماً في تعميق الوعي العقيدي، المهيم على هذا الإنسان في كل شؤونه، ومختلف أحواله وأطواره..

وليس ضرورياً دراسة حياة أي كان من الناس، إذا كانت هذه الدراسة تنطلق من مبدأ عبادة الأشخاص، وتسمح للإنسان بالانسياب في متاهات التعظيم والتبجيل لهم دون هدف، وبلا ضابطة، أو معيار.. سوى إرضاء الهوى، والاستجابة إلى النزعات التي لا تسمو بالإنسان، ولا هي تمنحه الفرصة ليسمو هو بها على الأقل..

بل هي تكبله بما شاءت من قيود، وحدود، وتشده إلى الأرض؛ ليخلد إليها. ولتتعامل - من ثم - مع كل شيء، بنظرة ضيقة، وعقلية متحجرة، وروح ممسوخة، وقاسية، وحتى حاقدة أيضاً.. وليواجهك -

من ثم - بكل الأساليب الملتوية، والممارسات الخاطئة، والمواقف المهزوزة، والمشينة في كثير من الأحيان..

دراستنا لسلمان المحمّدي:

ومن هنا.. فإننا لن نسمح لدراستنا لحياة سلمان المحمّدي، أن تتخذ إلا طابع الاستفادة من التجربة الفاضلة، لتسمو بنا، ونسمو نحن بها، لتكون ربيعاً لنا نتخير من أزهاره، ونجني من أثماره، ونلتذ بأفانين تغريد أطيّاره.

ونكون نحن لها التجسيد الحي، والنموذج الفذ، والمثل الأعلى..
ولكننا.. إذ نؤمن بأن قضايا التاريخ، مما لا يمكن حسم الأمر فيها، بسهولة، الأمر الذي يتخذ صفة الضرورة، قبل أن يمكن استيحاء العبرة والفكرة من أية قضية.. فإننا وجدنا أنفسنا تائهين في آفاق التحقيق والتقصي، لا نكاد نلتفت إلى أنفسنا، ولا أن نعي موقعنا حتى يشدنا تيار تحقيقي آخر إليه، لنصبح - من ثم - أسرى بين يديه..
ولأجل ذلك.. فقد أصبح من الطبيعي أن نقدم دراسة تكاد تكون متمحضة في هذا الاتجاه، لولا لفتات هنا، ولمحات ولمعات هناك..

ولكننا قبل أن نقدم إلى القارئ الكريم حصيلة تلك الجولة نود أن نقدم إليه باقة من حياة سلمان، على شكل معلومات أولية، من دون ذكر مصادر لها فعلاً .

(١) ويكفي للإطلاع على جانب من حياته «رحمه الله» مراجعة كتاب بحار

ما دمنا نشعر بالحاجة إلى التعرف - نسبياً - على بعض مفاصل حياته رضوان الله وسلامه عليه.. فنقول:

معلومات أولية:

اسمه: سلمان.

كنيته: أبو عبدالله، أو أبو الحسن، أو أبو إسحاق.

ولادته: لا مجال لتحديدها.

وفاته: سنة أربع وثلاثين للهجرة.

عمره: قيل: عاش ثلاث مائة سنة، وقيل: أقل، وقيل: أكثر.

بلده: جي (قرية في أصفهان). وقيل: إنه من رامهرمز، من

فارس.

محل دفنه: المدائن.. بلد قرب بغداد، فيه قبره «رحمه الله»، وقبر

حذيفة بن اليمان..

أبوه: كان أبوه دهقان أرضه.

عداده: وهو يعدّ من موالى رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وكان قد تداوله بضعة عشر رباً، حتى أفضى إلى رسول الله

«صلى الله عليه وآله».

وكان قد قرأ الكتب في طلب الدين.

الأنوار وكتاب سفينة البحار، وكتاب نفس الرحمان في فضائل سلمان.

حرفته: كان يسفّ الخوص، ويبيعه ويأكل منه، وهو أمير على المدائن.

إسلامه: عدّ في بعض الروايات هو وعلي «عليه السلام» من السابقين الأولين. كما قال ابن مردويه ويقال: بل أسلم أوائل الهجرة، كما سيأتي.

مشاهده: روي: أنه شهد بدرأً وأحدأً، ولم يفته بعد ذلك مشهد.

عطاؤه: خمسة آلاف، وكان يتصدق به، ويأكل من عمل يده.

بيت سكناه: لم يكن له بيت يسكن فيه، إنما كان يستظل بالجدر والشجر، حتى أقنعه البعض بأن يبني له بيتاً، إن قام أصاب رأسه سقفه، وإن مدّ رجليه أصابهما الجدار.

من خصائص سلمان:

قد عرفنا من بيت سكناه ومن حرفته، ومما يصنعه بعطائه زهد سلمان، وعزوفه عن الدنيا، ولا نريد استقصاء ذلك هنا أكثر من ذلك..

وقد وصفه البعض بأنه: كان خيراً فاضلاً، حبراً عالماً، زاهداً،^(١) متقشفاً.

وكانت له عبادة يفرض بعضها، ويلبس بعضها..

(١) الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج ٢ ص ٥٨ وسفينة البحار ج ١ ص ٦٤٧.

كان يحب الفقراء ويؤثرهم على أهل الثروة والعدد.

وكان - حسبما يقال - : يعرف الاسم الاعظم.

وكان من المتوسمين.

والإيمان عشر درجات، وكان سلمان في الدرجة العاشرة.

وكان يحب العلم والعلماء.

إن سلمان - حسبما روي عن الامام الصادق «عليه السلام» - كان

عبداً صالحاً، حنيفاً، مسلماً، وما كان من المشركين.

وفي حديث عنه «صلى الله عليه وآله»: لا تغلظنّ في سلمان،

فإن الله تبارك وتعالى أمرني أن اطلعه على علم البلايا والمنايا

والانساب، وفصل الخطاب..

وقد أدرك العلم الأول والآخر، وهو بحر لا ينزف.

وقد أخبر عن مصارع الشهداء في كربلاء، وعن أمر الخوارج..

منزلته ومقامه:

بعض ما سبق يشير إلى علو مقامه، وسامق منزلته، ولا نرى أننا

بحاجة إلى المزيد، ولكننا مع ذلك نقول:

قال صاحب الاستيعاب: لقد روي عن رسول الله «صلى الله عليه

وآله» من وجوه، أنه قال: لو كان الدين عند الثريا لنا له سلمان.

قال: وقد روينا عن عائشة، قالت: كان لسلمان مجلس من رسول

الله «صلى الله عليه وآله» ينفرد به بالليل، حتى يكاد يغلبنا على

(١)

رسول الله «صلى الله عليه وآله» .

وقد قال رسول الله «صلى الله عليه وآله» - حسبما سيأتي :-
سلمان منا أهل البيت.

وعن الصادق «عليه السلام»: كان رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأمير المؤمنين صلوات الله عليه يحدثان سلمان بما لا يحتمله غيره، من مخزون علم الله، ومكنونه.

ويأتيه الأمر: يا سلمان، إئت منزل فاطمة بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فانها اليك مشتاقه، تريد أن تتحفك بتحفة قد اتحفت بها من الجنة..

وعلمته صلوات الله وسلامه عليها أحد الادعية أيضاً..

وعن النبي «صلى الله عليه وآله»: سلمان مئي، ومن جفاه فقد جفاني، ومن آذاه فقد آذاني الخ.

وقال الصادق «عليه السلام» لمنصور بن بزرج - حسبما روي :- لا تقل: سلمان الفارسي، ولكن قل: سلمان المحمّدي.

من لطائف الإشارات:

ونذكر من لطائف الاشارات، وطرائف الاحداث:

أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد آخى بين سلمان، وأبي

(١) الاستيعاب (هامش الاصابة) ج ٢ ص ٥٩ وسفينة البحار ج ١ ص ٦٤٨.

ذر، وشرط على أبي ذر: أن لا يعطي سلمان..

ومع أن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب كان قد رفض تزويج سلمان بشكل أو بآخر، وصدر منه التعبير عن هذا الرجل الفذ: بـ «الطمطماني».

فإنه - لأسباب معينة، قد ولاه المدائن، كما سنرى إن شاء الله تعالى..

ويقال: إن تاج كسرى وضع على رأس سلمان، عند فتح فارس، كما قال له رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وحين زفاف فاطمة، ركبت فاطمة «عليها السلام» بغلة النبيّ الشهباء، وأمر «صلى الله عليه وآله» سلمان أن يقودها، والنبي «صلى الله عليه وآله» يسوقها.

وكان سلمان «رحمه الله» أحد الذين بقوا على أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعد وفاته..

وكان «رحمه الله» من المعترضين على صرف الأمر عن علي أمير المؤمنين إلى غيره، وله احتجاجات على القوم في هذا المجال، هو وأبي بن كعب «رحمه الله».

وفاة سلمان:

وحين توفي سلمان تولى غسله وتجييزه، والصلاة عليه ودفنه علي أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام، وقد جاء من المدينة إلى

المدائن من أجل ذلك. وهذه القضية من الكرامات المشهورة لأمير المؤمنين عليه الصلاة.

وقد نظم أبو الفضل التميمي هذه الحادثة؛ فقال:

سمعت مني يسيراً من عجائبه وكل أمر علي لم يزل عجباً
أدريت في ليلة سار الوصي إلى أرض المدائن لما أن لها طلباً
فألحد الظهر سلماناً، وعاد إلى عراض يثرب والاصباح ما
قرباً

كأصف لم تقل أنت بلى أنا بحيدر غال أورد الكذبا
لعل الصحيح:

(فأنت في آصف لم تغل قلت بلى أنا بحيدر غال، إن ذا عجباً)
إن كان أحمد خير المرسلين فذا خي الوصيين، أو كل الحديث
هبا

وقلت ما قلت من قول الغلاة فما ذنب الغلاة إذا قالوا الذي
وجبا

المستنصر بالله، وابن الأقساسي:

ويذكر هنا: أن الخليفة العباسي، المستنصر بالله، خرج يوماً إلى زيارة قبر سلمان «رحمه الله»، ومعه السيد عز الدين ابن الاقساسي.

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٢ ح ٣٠٢.

فقال له الخليفة في الطريق: إن من الاكاذيب: ما يرويه غلاة الشيعة من مجيء علي بن أبي طالب «عليه السلام» من المدينة إلى المدائن لما توفي سلمان، وتغسيله إياه، ومراجعته في ليلته إلى المدينة.

فأجابه ابن الأقساسي، فقرأ له الآيات المتقدمة:

أنكرت ليلة إذ جاء الوصي إلى أرض المدائن لما أن لها طلباً
 (١)
 الأبيات .

والظاهر: هو أن ابن الأقساسي قد استشهد بالآيات المذكورة؛ لأن المستنصر بالله إنما ولد في سنة ٥٨٩ هـ أي بعد وفاة ابن شهر آشوب بسنة واحدة .

ختام:

كانت تلك باقة رائقة، إختارناها من آلاف الازاهير الفيحاء، المنتشرة في واحات خمائله الغناء.

ولعل فيما صرفنا النظر عنه الكثير مما هو أعطر وأزكى، ولعل فواح أريجها كان أطيب، وابهج وأزكى..

ولعل القاريء يجد في بعض ما يأتي من فصول هذا الكتاب

(١) راجع: مجالس المؤمنين ج ١ ص ٥٠٧. وراجع أيضاً: هامش البحار ج ٩٩ ص ٢٧٨ و ٢٧٩.

(٢) راجع أيضاً: هامش البحار ج ٩٩ ص ٢٧٩.

بعض ما صفا من جواهره، ونماذج مما راق من لآئه..
ونستميح القاريء العذر على التقصير، فان الإطاحة بكل ذلك
مما يخرج عن حدود الطاقة، ويجلّ عن الوسع، ويأبى عن الاحاطة،
فلا محيص لنا عن الاقتصار على ما يسمح لنا به الوقت، وأتاحته لنا
الفرصة.
فإلى ما يلي من فصول ومطالب..

الفصل الثاني: حديث الإسلام والحرية

حديث إسلام سلمان:

في السنة الأولى من الهجرة وبالذات في جمادى الأولى منها، - كما قيل ^(١) - كان إسلام سلمان المحمّدي، المعروف بسلمان الفارسي «رحمه الله»، ورضي عنه، وحشرنا معه وفي زمرته، والذي كان قد هاجر من بلاده وتحمل المشاق الكثيرة، والمصاعب الكبيرة، حتى لقد ابتلى بالرق وذلك في سبيل طلب الدين الحق، فهواه الله إليه، وكانت له المنة في ذلك عليه.

وحكاية كيفية وصوله إلى المدينة، وما جرى عليه قبل ذلك، طويلة، وفيها شيء من الاختلاف، ولسنا هنا بصدد التحقيق في هذا الأمر..

ولكن ما لا شك فيه هو: أنه قد استرقوه في سبيل ذلك، وأخذ إلى منطقة الحجاز، وبالتحديد إلى المدينة، ويقال: مكة، أو وادي القرى، ثم انتهى امره إلى المدينة.

وكان قد عرف: ان نبياً سيخرج، وأنه لا يأكل الصدقة، ويأكل

(١) راجع: الخميس ج ١ ص ٣٥١.

الهدية، وبين كتفيه خاتم النبوة، فحينما.

التقى بالنبي في قباء قدّم إليه رطباً على أنها صدقة؛ فلاحظ: أن النبيّ «صلى الله عليه وآله» قد أمر أصحابه بأن يأكلوا، ولم يأكل هو؛ لأنها صدقة.

فعدّها سلمان واحدة.

ثم التقى به «صلى الله عليه وآله» في المدينة.

فقدم له - رطباً على أنها هدية، فلاحظ: انه «صلى الله عليه وآله» قد أكل منها هذه المرة..

ثم التقى به «صلى الله عليه وآله» في بقيع الغرقد، وهو في تشييع جنازة بعض أصحابه، فسلم عليه، ثم استدار خلفه؛ فكشف «صلى الله عليه وآله» له عن ظهره، فرأى خاتم النبوة؛ فانكب عليه يقبله ويبكي، ثم أسلم، وأخبره بقصته .

ثم كان تحريره من الرق، حسبما سيأتي.

(١) مصادر هذا الذي ذكرناه كثيرة جداً، وما سيأتي في هذا الفصل كله، قد ذكر هذا الحديث، فلا حاجة إلى ذكرها، ومع ذلك نقول: راجع: الاصابة ج ٢ ص ٦٢ وقاموس الرجال ج ٤، والاستيعاب واسد الغاية، والبحار ج ٢٢، ونفس الرحمان والمصنف لعبدالرزاق ج ٨ ص ٤١٨ وتاريخ الخميس والدرجات الرفيعة وروضة الواعظين، ووو إلخ..

نحن.. وحديث الإسلام هذا:

ويلاحظ هنا: أن سلمان لم يسلم بدافع عاطفي أو مصلحي، ولم يسلم أيضاً استجابة لضغوط عليه، أو لجو معين.. وإنما دخل في الإسلام عن قناعة فكرية خالصة، وبعد أن هاجر في طلب الدين الحق، ولاقى الكثير من المصاعب والمتاعب، حتى ابتلي بالرق والعبودية.. مع أنه كان من أول الأمر مظهراً للشرك مبطناً للإيمان، كما في بعض الروايات الآتية.

وذلك إن دلّ على شيء، فإنما يدل على أن التدين أمر فطري؛ وأنه مما يدعو له العقل السليم، فعن هذا الطريق توصل سلمان إلى الإيمان بالله، وبأنبيائه، وشرائعه.

متى تحرّر سلمان؟

ويقولون: إن تحرير سلمان من رق العبودية بصورة كاملة، قد كان في أول السنة الخامسة من الهجرة النبوية الشريفة .
وذلك قبل وقعة الخندق، التي يرى عدد من المؤرخين: أنها كانت سنة خمس، في ذي القعدة منها .

(١) الثقافات ج ١ ص ٢٥٧ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٥٢ و ٤٦٨.

(٢) راجع: البداية والنهاية ج ٤ ص ٥٣ وتاريخ الأمم والملوك للطبري ط الاستقامة ج ٢ ص ٣٣٣ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٧٨ وتاريخ الخميس ج ١ ص ١٧٩ والمحبر ص ١١٣ وفتوح البلدان ج ١ ص ٢٣، وليراجع:

ولكننا بدورنا نقول:

إن ذلك مشكوك فيه من ناحيتين:

الأولى: في تاريخ وقعة الخندق.

والثانية: في تاريخ عتق سلمان..

تاريخ غزوة الخندق:

فأما بالنسبة للناحية الأولى، اعني تاريخ الخندق؛ فإننا نقول:

١ - لو سلم: أنها كانت في السنة الخامسة فإن مجرد ذلك لا يكفي، في تعيين زمان عتقه على النحو المذكور، إذ قد يكون العتق قد تم بعد أحد بأشهر يسيرة، في السنة الرابعة مثلاً، ثم حضر الخندق، بعد ذلك بسنة، أو أكثر، أو أقل.

٢ - لقد جزم البعض بان الخندق كانت في سنة أربع، وصححه النووي في الروضة، وفي شرحه لصحيح مسلم .

صفة الصفوة ج ١ ص ٤٥٥ - ٤٥٩ ومختصر التاريخ لابن الكازروني ص ٤٢ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٨ وشذرات الذهب ج ١ ص ١١ والتنبيه والاشراف ص ١١٥ والبدء والتاريخ ج ٤ ص ٢١٦ ومغازي الواقدي ج ٢ ص ٤٤٠ و ٤٤١ والمصنف للصنعاني ج ٥ ص ٦٧ وطبقات ابن سعد ج ٢ قسم ١ ص ٤٧ قسم ١ ص ٦٠ وتاريخ بغداد ج ١ ص ١٧٠، وانساب الاشراف ج ١ (قسم حياة النبي «ص») ص ٣٤٣.

(١) مجمع الزوائد ج ٩ ص ٣٤٥ وتهذيب الكمال ج ١٠ ص ٣١ والجامع لابن

بل لقد قال ولي الدين العراقي عن غزوة الخندق: «المشهور أنها في السنة الرابعة للهجرة» .

وقال عياض: «ان سعد بن معاذ مات إثر غزوة الخندق، من الرمية، التي أصابته، وذلك سنة أربع باجماع أهل السير، إلا شيئاً قاله الواقدي» .

فقوله: «باجماع أهل السير» يحتمل رجوعه إلى سنة أربع، فيكون قد ادعى الاجماع على كون الخندق في سنة أربع، ويحتمل رجوعه إلى موت سعد بن معاذ بعد الخندق، وتكون كلمة «وذلك سنة أربع» معترضة، ولا تعبر إلا عن رأيه..

ومما يدل على أن الخندق قد كانت سنة أربع:

أبي زيد القيرواني ص ٢٧٩ وراجع: فتح الباري ج ٧ ص ٣٠٢ والمحبر ص ١١٣ وعنوان المعارف في ذكر الخلائق ص ١٢ والمناقب لابن شهر آشوب ج ٤ ص ٧٦ وشرح صحيح مسلم للنووي، بهامش ارشاد الساري ج ٨ ص ٦٤ ونقله في وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠٠ وفي تاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٦٠ عن النووي في الروضة، وأصر عليه ابن خلدون في كتابه: العبر، وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ قسم ٢ ص ٢٩ و ٣٣ وراجع: صحيح البخاري ج ٣ ص ٢٠.

(١) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٠ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٠.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي، بهامش ارشاد الساري ج ١٠ ص ٢٢٦ وفتح

الباري ج ٨ ص ٣٦٠.

١ - أنهم يذكرون بالنسبة لزيد بن ثابت: أن أباه قتل يوم بعث (١) وهو ابن ست سنين، وكانت بعث قبل الهجرة بخمس سنين وقدم النبي (صلى الله عليه وآله) المدينة، وعمر زيد إحدى عشرة سنة .

(٣) ثم يقولون: إن أول مشاهد زيد الخندق (٤) ، لأن النبي (صلى الله عليه وآله) قد أجازه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة .

-
- (١) تهذيب الكمال ج ١٠ ص ٢٧ و ٣٠ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ٤٢١ وراجع: شذرات الذهب ج ١ ص ٥٤، وتهذيب تاريخ دمشق ج ٥ ص ٤٤٩ .
- (٢) مجمع الزوائد ج ٩ ص ٣٤٥ عن زيد نفسه. وتهذيب التهذيب ج ٣ ص ٣٩٩ والثقات ج ٣ ص ١٣٦ وصفة الصفوة ج ١ ص ٧٠٤ وسير اعلام النبلاء ج ٢ ص ٤٢٧ و ٤٢٨ وتهذيب الكمال ج ١٠ ص ٢٥ و ٢٧ وتهذيب الاسماء ج ١ ص ٢٠٠ و ٢٠١ والاستيعاب بهامش الاصابة ج ١ ص ٥٥١ وشذرات الذهب ج ١ ص ٥٤ وتهذيب تاريخ دمشق ج ٥ ص ٤٤٩ .
- (٣) تهذيب الكمال ج ١٠ ص ٣٠ و ٣١ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ٤٢١، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣٠ وشذرات الذهب ج ١ ص ٥٤ وتهذيب تاريخ دمشق ج ٥ ص ٤٤٩ وراجع: تهذيب ج ٣ ص ٣٩٩ عن الواقدي..
- (٤) تهذيب تاريخ دمشق ج ٥ ص ٤٤٦ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٣٤٥ وتهذيب الكمال ج ١٠ ص ٣١ .
- (٥) تهذيب الكمال ج ١٠ ص ٣٠ و ٣١ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ٤٢١ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٣١ .

(١)

والخندق إنما كانت في شوال سنة أربع .

ويروى عن زيد قوله: ^(١)أجازني رسول الله «صلى الله عليه وآله»
يوم الخندق، وكساني قبضية .

وعنه: ^(٣)أجزت يوم الخندق، وكانت وقعة بعثت وأنا ابن ست
سنين .

(٤)

وعنه: لم أجز في بدر، ولا في أحد، وأجزت في الخندق .

(٥)

وتوفي زيد سنة ثمان واربعين، وسنه تسع وخمسون سنة .

وقال الواقدي: مات سنة خمس وأربعين وهو ابن ست وخمسين
سنة ^(٦)وذلك يؤيد ما قلناه.

وقد استدل النووي، وابن خلدون، وربما يظهر ذلك من البخاري

(١) مجمع الزوائد ج ٩ ص ٣٤٥ وتهذيب الكمال ج ١٠ ص ٣١ وتقدمت طائفة
أخرى من المصادر.

(٢) سير اعلام النبلاء ج ٢ ص ٤٣٢ وفي هامشه عن الطبراني، وتهذيب الكمال
ج ١٠ ص ٢٩ وتهذيب تاريخ دمشق ج ٥ ص ٤٤٩.

(٣) سير اعلام النبلاء ج ٢ ص ٤٣٣ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ٤٢١ وتهذيب
تاريخ دمشق ج ٥ ص ٤٤٩ وتهذيب الكمال ج ١٠ ص ٣٠.

(٤) الاصابة ج ١ ص ٥٦١.

(٥) مجمع الزوائد ج ٩ ص ٣٤٥ وتهذيب الكمال ج ١٠ ص ٣١.

(٦) صفة الصفوة ج ١ ص ٧٠٤ و ٧٠٥.

(١)
على: أن غزوة الخندق قد كانت سنة أربع بانهم قد أجمعوا على أن حرب أحد، كانت سنة ثلاث، ولم يجز النبي «صلى الله عليه وآله» ابن عمر أن يشترك فيها؛ لأن عمره كان أربع عشرة سنة، ثم أجازته في وقعة الخندق؛ لأنه كان قد بلغ الخامسة عشرة؛ فتكون الخندق بعد أحد بسنة واحدة..

وقد حاول البعض الاجابة على ذلك بطرح بعض الاحتمالات البعيدة، وقد أجبنا عنها في كتابنا: «حديث الإفك» ص ٩٦ - ٩٩؛ فليراجع من أراد..

ومهما يكن من أمر؛ فان احتمال أن يكون تحرر سلمان من الرق قد تم قبل السنة الخامسة من الهجرة، يصبح على درجة من القوة..

(١) راجع: فتح الباري ج ٧ ص ٣٠٢ وشرح صحيح مسلم (بهامش ارشاد الساري) ج ٨ ص ٦٤ والعبير، وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ قسم ٢ ص ٢٩ و ٣٣ وراجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٠ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٠ وصحيح البخاري ج ٣ ص ٢٠ ط سنة ١٣٠٩ هـ. فانه نقل في عنوان الباب: عن موسى بن عقبة: أن الخندق كانت سنة أربع.

(٢) سنن ابن ماجة ج ٢ ص ٨٥٠ ومسند الامام أحمد بن حنبل ج ٢ ص ١٧، وصحيح البخاري ج ٣ ص ٢٠ وج ٢ ص ٦٩ وصحيح مسلم ج ٦ ص ٣٠، والمصنف لعبد الرزاق الصنعاني ج ٥ ص ٣١٠ و ٣١١ وطبقات ابن سعد ج ٤ ص ١٠٥ وأنساب الاشراف (قسم حياة النبي «ص») ج ١ ص ٣٤٣ و ٣٤٤ باضافة كلمة: واشف منها، والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٠.

وأما بالنسبة لتحديد.

تاريخ الحرّبة:

فإننا نكاد نطمئن إلى أنه قد تحرر في السنة الأولى من الهجرة..
بل لقد ورد في بعض الروايات ما يدل على أنه قد اعتق في مكة .
ويدل على تحرره في السنة الأولى:

١ - أن روايات عتقه يدل عدد منها على أنه قد اعتق عقيب
إسلامه بلا فصل، وهو إنما اسلم - أو فقل: أظهر إسلامه - في السنة
الأولى من الهجرة .

٢ - قد صرح البعض - كتاريخ كزيدة - بأن الرسول «صلى الله
عليه وآله» قد اشتراه في السنة الأولى من هجرته .

وسياتي التصريح بذلك عن الشعبي، وعن بريدة.. وذلك حين

(١) راجع: مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٦٠٣ - ٦٠٤ وغيره وستأتي رواية أخرى

تدل على أنه كان هو المشير بدعوة أبي بكر إلى الاسلام.

(٢) راجع: نفس الرحمان ص ٢٠، وهو ظاهر ان لم يكن صريح الرواية التي

ذكرها ص ٥ - ٦ واعتبرها أصح الروايات، وهي موجودة في إكمال الدين

ص ١٦٢ - ١٦٥ وفي روضة الواعظين ص ٢٧٥ - ٢٧٨ والبحار ج ٢٢

ص ٣٥٥ - ٣٥٩ والدرجات الرفيعة ص ٢٠٣ ونقلها النوري أيضاً عن:

الدر النظيم، وعن قصص الأنبياء للراوندي، وعن الحسين بن حمدان.

(٣) نفس الرحمان ص ٢٠.

الكلام على كونه من موالى رسول الله «صلى الله عليه وآله»..
٣ - ومما يدل على أن سلمان قد تحرر في أول سني الهجرة.

كتاب النبيّ «صلى الله عليه وآله» في مفاداة سلمان:

حيث يقولون: إن النبيّ «صلى الله عليه وآله» قد أملى كتاب مفاداة سلمان على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وهو و- والنص لابي نعيم - كما يلي:

هذا ما فادى «صلى الله عليه وآله» محمّد بن عبدالله، رسول الله، فدى سلمان الفارسي من عثمان بن الأشهل اليهودي، ثم القرظي، بغرس ثلاثمائة نخلة، وأربعين أوقية ذهب؛ فقد برىء محمّد بن عبدالله رسول الله لثمن سلمان الفارسي، وولاؤه لمحمّد بن عبدالله رسول الله، وأهل بيته، فليس لأحد على سلمان سبيل.

شهد على ذلك: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وحذيفة بن اليمان، وأبو ذر الغفاري، والمقداد بن الاسود، وبلال مولى أبي بكر، وعبدالرحمان بن عوف، رضي الله عنهم.

وكتب علي بن أبي طالب الاثنین في جمادى الاولى، مهاجر محمّد بن عبدالله رسول الله «صلى الله عليه وآله».

(١)

وقد ذكرت بعض المصادر هذا الكتاب من دون ذكر الشهود .

(١) ذكر أخبار اصفهان ج ١ ص ٥٢، وتاريخ بغداد ج ١ ص ١٧٠ وتهذيب تاريخ دمشق ج ٦ ص ١٩٩ ومجموعة الوثائق السياسية ص ٣٢٨ عن

تأملات في الكتاب:

«قال الخطيب: في هذا الحديث نظر، وذلك أن أول مشاهد سلمان مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» غزوة الخندق، وكانت في السنة الخامسة من الهجرة، ولو كان يخلص سلمان من الرق في السنة الأولى من الهجرة، لم يفته شيء من المغازي مع رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وأيضاً.. فان التاريخ بالهجرة لم يكن في عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأول من أرخ بها عمر بن الخطاب في خلافته» .

وقال العلامة المحقق الاحمدي: «وأما الشهود فان فيهم أبا ذر الغفاري (ره) وهو لم يأت المدينة إلا بعد خندق، مع أن صريح الكتاب: أن ذلك كان في السنة الأولى من الهجرة.

وتوصيف أبي بكر بالصديق يخالف رسوم كتب صدر الإسلام» .

الأولين وعن جامع الآثار في مولد المختار، لشمس الدين محمد بن ناصر الدين دمشقي وطبقات المحدثين باصبهان ج ١ ص ٢٢٦ و ٢٢٧، ونفس الرحمان في فضائل سلمان ص ٢٠ و ٢١ عن تاريخ غريفة، ومكاتب الرسول ج ٢ ص ٤٠٩ من أكثر من تقدم، وقال: «وأوعز اليه في البحار عن الخرائج».

(١) تاريخ بغداد ج ١ ص ١٧٠.

(٢) مكاتب الرسول ج ٢ ص ٤١٠.

قال هذا حفظه الله بعد أن ذكر: أن الخطيب قد تنظر في الكتاب،
وأنه لم يذكر الشهود.

كما وذكر حفظه الله أن ابن عساكر ونفس الرحمان لم يذكر
الشهود أيضاً .

الردّ على الشكوك المشار إليها:

ونقول:

إنّ لنا هنا ملاحظات.. سواء بالنسبة لما ذكره الخطيب، أو
بالنسبة لما ذكره العلامة الأحمدي..

فأما بالنسبة إلى ما ذكره الخطيب فنشير إلى ما يلي:

أولاً: قوله: إن مشاهد سلمان الخندق، وذلك ينافي ما ورد في
الكتاب من أنه قد كوتب في السنة الأولى للهجرة..

هذا القول.. لا يصح؛ وذلك لما يلي:

١ - إن من الممكن أن يتحرر في أول سني الهجرة، ثم لا يشهد
أياً من المشاهد، لعذر ما، قد يصل إلينا، وقد لا يصل..

٢ - إن مكاتبته في السنة الأولى لا تستلزم حصوله على نعمة
الحرية فيها مباشرة، إذ قد يتأخر في تأدية مال الكتابة، فتتأخر
حريته.. وإن كنا قد ذكرنا آنفاً: أن سلمان لم يكن كذلك، بدليل نفس ما
ورد في ذلك الكتاب الأنف الذكر، وأدلة أخرى..

ولكننا نريد أن نقول للخطيب: إن ما ذكرته ليس ظاهر اللزوم في نفسه، ولا يصح النقض به، مجرداً عن أي مثبتات أخرى، كما يريد هو أن يدعيه..

(١)

٣ - إن البعض قد ذكر: أن سلمان قد شهد بدرأً وأحدأً أيضاً .

(٢)

ويظهر من سليم بن قيس عدّ سلمان في جماعة أهل بدر .

ولعل هذا يفسر لنا سبب فرض عمر له، خمسة آلاف، الذي هو

(٣)

عطاء أهل بدر .

وقد حاول البعض: أن يقول: إن مراد القائلين بحضوره بدرأً: أنه

حضرها وهو عبد، ومراد القائلين بأنه قد شهد الخندق فما بعدها: ولم

(٤)

يحضر بدرأً أنه لم يحضرها وهو حر .

ونقول: إن هذا جمع تبرعي، لا يرضى به لا أولئك، ولا هؤلاء،

(١) الاستيعاب ج ٢ ص ٥٨ بهامش الاصابة. وراجع: الاصابة ج ٢ ص ٦٢ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٨ ص ٣٥ والبحار ج ٢٢ ص ٣٩٠ وتهذيب التهذيب ج ٤ ص ١٣٩ والدرجات الرفيعة ص ٢٠٦ ونفس الرحمان ص ٢٠.

(٢) راجع: سليم بن قيس ص ٥٢، ونفس الرحمان ص ٢٠ عنه.

(٣) شرح النهج للمعتزلي ج ١٢ ص ٢١٥ وراجع ج ١٨ ص ٣٥ وذكر أخبار

أصبهان ج ١ ص ٤٨ والاستيعاب بهامش الاصابة ج ٢ ص ٥٨ وقاموس

الرجال ج ٤ ص ٤٢٤ وتاريخ الامم والملوك ج ٣ ص ٦١٤.

(٤) راجع: نفس الرحمان ص ٢٠ وراجع: تاريخ الامم والملوك ج ٢ ص ٥٦٦.

لأن مدار النبي والاثبات هو أصل الحضور والشهود، من دون نظر إلى الحرية، والعبودية، ولذا تجد في بعض العبارات المنقولة التعبير بأنه: لم يفته مشهد بعد الخندق، فانه يكاد يكون صريحاً في فوات بعض المشاهد، قبل ذلك..

وثانياً: قول الخطيب: ان التاريخ الهجري لم يكن في عهد الرسول، وأن عمر بن الخطاب هو أول من أرّخ به.

لا يمكن قبوله، فقد أثبتنا في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي «صلى الله عليه وآله»: أن النبي هو واضع التاريخ الهجري، وقد أرّخ به هو نفسه «صلى الله عليه وآله» أكثر من مرة، وهذا الكتاب يصلح دليلاً على ذلك أيضاً.

وأما بالنسبة لكلام العلامة الباحثة الأحمدي، فنحن نشير إلى ما يلي:

أ: قوله: إن الخطيب، وابن عساكر، ونفس الرحمان لم يذكروا الشهود، ليس في محله، كما يعلم بالمراجعة.

ب: إن ما ذكره حول توصيف أبي بكر بالصديق.. صحيح، وقد تحدثنا في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الاعظم «صلى الله عليه وآله» ج ٢ ص ٢٦٣ - ٢٦٨: أن تلقيه بهذا اللقب، لا يصلح لا في الاسراء والمعراج، ولا في أول البعثة، ولا في قضية الغار، حسب اختلاف الدعاوى..

وذكرنا هناك: أن الظاهر: هو أن اللقب قد خلع عليه بعد وفاة

النبيّ «صلى الله عليه وآله» بمدة ليست بالقصيرة.

ونضيف إلى ذلك: أنه إن كان أبو بكر نفسه قد كتب هذه الكلمة على كتاب عتق سلمان، فنقول:

إن من غير المؤلف: أن يطلق الإنسان على نفسه القاب التعظيم والتخيم، بل إن الإنسان العظيم، الذي يحترم نفسه، يعمد في موارد كهذه إلى اظهار التواضع، والعزوف عن الفخامة والابهة. وإن كان الآخرون هم الذين اطلقوا عليه لقب «الصديق»، وأضافوه إلى الكتاب من عند أنفسهم، تكرماً وحباً، ورغبة في تعظيمه، وتفخيمه..

فذلك يعني: أنهم قد تصرفوا بالكتاب، وأضافوا إليه ما ليس منه، دون أن يتركوا أثراً يدل على تصرفهم هذا، وهو عمل مدان، ومرفوض، إن لم نقل: انه مشين، لاسيما وأنهم اهلوا صديقه عمر بن الخطاب؛ فلم يصفوه بالفاروق، كما وأهلوا غيره أيضاً..

ولا يفوتنا التذكير هنا: بأن النوري قد أورد الكتاب في: نفس الرحمان، عن: تاريخ كزيده وليس فيه وصف أبي بكر بـ «الصديق»، بل وصفه بـ «ابن أبي قحافة» وهو الانسب، والأوفق لظاهر الحال.

ج: وأما قولهم: ان أبا ذر لم يكن قد قدم المدينة حينئذٍ؛ لأنه إنما قدمها بعد الخندق.

فاننا نقول: المراد: أنه انما قدمها مستوطناً لها بعد الخندق. أما قبل ذلك، فلعله قدمها للقاء رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أو

لبعض حاجاته؛ فصادف كتابة هذا الكتاب؛ فشهد عليه، ثم عاد إلى بلاده. وثمة رواية أخرى، تشير إلى حضوره^(١)؛ فلترجع.

د: اصف إلى ذلك: أن وصف بلال بأنه مولى أبي بكر، قد يكون من تزيُّد الرواة أيضاً؛ إذ قد ذكرنا في كتابنا: الصحيح من سيرة النبيّ الاعظم ج ٢ ص ٣٤ - ٣٨: أن بلالا لم يكن مولى لابي بكر..

وأخيراً.. فان مما يدل على أن الرواة والكتاب قد زادوا شيئاً من عند أنفسهم: إضافة عبارة: «رضي الله عنهم» إلى الشهود؛ إذ لا شك في أن ذلك قد حصل بعد كتابة ذلك الكتاب. بل ويحتمل أن يكون الشهود جميعاً قد اضيفوا بعد ذلك، وإن كان هذا احتمالاً بعيداً جداً..

حديث الحرية.. بطريقة أخرى:

وقد جاء في بعض الروايات: أن الرق قد شغل سلمان، حتى فاتته بدر وأحد، حتى قال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: كاتب يا سلمان، فكاتب سيده على ثلاث مائة نخلة (وقيل: على مائة وستين فسيلة، وقيل خمس مائة وقيل على مائة فقط، و.. و..) يحيها له،

(١) راجع: البحار ج ٢٢ ص ٣٥٨ واكمال الدين ج ١ ص ١٦٤ و ١٦٥ وروضة الواعظين ص ٢٢٧٦ - ٢٧٨ والدرجات الرفيعة ص ٢٠٣ عن اكمال الدين، ونفس الرحمان ص ٦ ص ٢٢ عن الحسين بن حمدان وص ٥ وصحها عن اكمال الدين، وعن الراوندي في قصص الأنبياء، وعن روضة الواعظين، وعن الدر النظيم.

وأربعين اوقية من ذهب.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: اعينوا أخاكم بالنخل. فاعانه اصحاب النبي «صلى الله عليه وآله» بالخمس والعشر، حتى اجتمعت عنده؛ فأمره «صلى الله عليه وآله» أن يفقر لها، ولا يضع منها شيئاً حتى يكون النبي «صلى الله عليه وآله» هو الذي يضعها بيده؛ ففعل، فجاء رسول الله «صلى الله عليه وآله»؛ فغرسها بيده؛ فحملت من عامها. وقال «صلى الله عليه وآله» له: إذا سمعت بشيء قد جاءني؛ فأنتي، أغنيك بمثل ما بقي من فديتك. فبينما رسول الله «صلى الله عليه وآله» ذات يوم في اصحابه، إذ جاء رجل من أصحابه بمثل البيضة من ذهب.

فقال «صلى الله عليه وآله»: ما فعل الفارسي المكاتب؟

فدعي له سلمان؛ فقال: خذ هذه؛ فأدبها ما عليك يا سلمان..

إلى أن تقول الرواية: فأخذها، فأوفى منها حقهم كله: أربعين اوقية ، وفي بعض المصادر: أنه بقي منها مثل ما أعطاهم. (٢) وأعتق سلمان، وشهد الخندق، ثم لم يفته معه مشهد .

(١) الأوقية: وزن أربعين درهماً.

(٢) راجع: الثقات ج ١ ص ٢٥٦ و ٢٥٧ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٨ وحلية

الاولياء ج ١ ص ١٩٥ وتاريخ بغداد ج ١ ص ١٦٩ (وراجع ص ١٦٣

مناقشات لا بدّ منها:

إننا نشك في بعض ما جاء في هذه الرواية:

١ - لأنها تقول: إنه هو الذي كاتب سيده، واعانه الصحابة على أداء دينه، واعانه الرسول أيضاً بالذهب..

مع أن صريح كتاب المفاداة: أن الرسول «صلى الله عليه وآله» هو الذي أدى جميع ما على سلمان، وأن رسول الله «صلى الله عليه

و١٦٤) وطبقات المحدثين باصبهان ج ١ ص ٢٠٩ - ٢٢٢ ودلائل النبوة لابي نعيم ص ٢١٣ - ٢١٩ وسيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٢٨ - ٢٣٦ طليدن، واسد الغابة ج ٢ ص ٣٣٠ وطبقات ابن سعد ج ٤ قسم ١ ص ٥٦ - ٥٨ والشفاء لعياض ج ١ ص ٣٣٢ وشرح الشفاء للقاري ج ١ ص ٣٨٤ وتهذيب تاريخ دمشق ج ٦ ص ١٩٧ - ١٩٩ عن أبي يعلى، والمصنف للصنعاني ج ٨ ص ٤١٨ و ٤٢٠ وتهذيب الاسماء ج ١ ص ٢٢٧ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٣٣٥ - ٣٣٧ و ٣٤٠ وقاموس الرجال ج ٤ ص ٤٢٧ و ٤٢٨ وانساب الأشراف (سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم) ج ١ ص ٤٨٧ و ٤٨٦ والبحار ج ٢٢ ص ٢٦٥ و ٣٦٧ و ٣٩٠ وشرح النهج للمعتزلي الحنفي ج ١٨ ص ٣٥ و ٣٩ والاستيعاب بهامش الاصابة ج ٢ ص ٥٧ وصفة الصفوة ج ١ ص ٥٣٢ و ٥٣٣ عن أحمد، وفي هامشه عن ابن هشام وعن الطبراني في الكبير، وعن الخصائص للسيوطي ج ١ ص ٤٨ عن دلائل البيهقي، ونفس الرحمان ص ١٢ و ١٦ عن قصص الانبياء للراوندي وعن المنتقى للكارزوني وعن السيرة الحلبية، وعن سيرة ابن هشام وراجع: مسند أحمد ج ٥ ص ٤٣٨ - ٤٤٤.

وآله» قد اشتراه، واعتقه، وأن ولاءه لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأهل بيته.. وقد دلت على ذلك نصوص اخر ستأتي إن شاء الله تعالى.

إن كونه قد أعتق في السنة الخامسة، أو الرابعة، مشكوك فيه أيضاً، وقد قدمنا بعض ما يرتبط بذلك وأنه قد أعتق في أول سني الهجرة..

٢- قول الرواية: انه قد فاته بدر وأحد.. قد عرفنا: أنه أيضاً غير مسلم، فقد قيل: انه حضرهما أيضاً..

أضف إلى ذلك: ان رواية ابن الشيخ تنص على أنه قد أخبر النبي «صلى الله عليه وآله» بأنه قد كاتب سيده، فور إسلامه، حين مجيء النبي «صلى الله عليه وآله» إلى المدينة مباشرة .

كما أن القول بأن الصحابة قد اعانوا النبي «صلى الله عليه وآله» على أداء دينه فيما يرتبط بفداء سلمان.. هو الآخر لا يصح، إذ قد كان على الرواي أن يقول ذلك، ويصرح به، وكان على النبي «صلى الله عليه وآله»: أن يطلب منهم أن يعينوه هو، لا أن يعينوا أخاهم سلمان، كما هو صريح الرواية..

الرواية الاقرب إلى القبول:

ولعل الرواية الاقرب إلى القبول هي: أنه «صلى الله عليه وآله»

(١) طبقات المحدثين باصبهان ج ١ ص ٢١٥.

قد غرس النوى، وكان علي «عليه السلام» يعينه؛ فكان النوى يخرج فوراً، ويصير نخلاً، ويطعم بصورة اعجازية له «صلى الله عليه وآله».

كما ظهرت معجزته «صلى الله عليه وآله»، في وزن مقدار أربعين أوقية ذهباً، من حجر صار ذهباً^(١) أو من مثل البيضة أيضاً، أو من مثل البيضة أيضاً، أو من مثل وزن نواة.

النخلة التي غرسها عمر:

ونجد في بعض المصادر: أن عمر بن الخطاب قد شارك في غرس نخلة: واحدة، ولكنها لم تعش، فانتزعها النبي «صلى الله عليه وآله» وغرسها بيده، فحملت .

(١) نفس الرحمان ص ٢١ والبحار ج ٢٢ ص ٣٦٧ والخرايج والجرايح ج ١ ص ١٤٤ وذكر غرس النوى في حديث آخر، فراجع: روضة الواعظين ص ٢٧٨ والبحار ج ٢٢ ص ٣٥٨ واكمال الدين ص ١٦٥ والدرجات الرفيعة ص ٢٠٣ ونفس الرحمان ص ٦ عن بعض من تقدم، وعن قصص الانبياء للراوندي، وعن الحسين بن حمدان، وعن الدر النظيم.

(٢) مجمع الزوائد ج ٩ ص ٣٣٧ عن أحمد، والبزار، ورجاله رجال الصحيح، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٨ وشرح النهج للمعتزلي الحنفي ج ١٨ ص ٣٥ والاستيعاب بهامش الاصابة ج ٢ ص ٥٨ وقاموس الرجال ج ٤ ص ٢٢٧ وتهذيب تاريخ دمشق ج ٦ ص ١٩٨ و ١٩٩ وشرح الشفاء لملا علي القاري ج ١ ص ٣٨٤ ومزيل الخفاء، في شرح الفاظ الشفاء (مطبوع

وفي رواية أخرى: أن التي لم تعش كان سلمان هو الذي
(١) غرسها .

أما عياض، فلم يسم أحداً، وإن كان قد ذكر غرس غيره
(٢) أيضاً .

ولعلها كانت فسيلة حاضرة لدى عمر، أو سلمان، فأحب
المشاركة في هذا الامر، فغرسها، ولعله غرس نواة، كانت في
حوزته، وإن كانت الروايات قد صرحت بالأول لا بالنواة.. فيتعين
ذلك الاحتمال..

وقد حاول البعض الجمع بين الروايتين المشار إليهما، أعني
رواية غرس عمر للنخلة التي لم تعش، ورواية غرس سلمان لتلك
النخلة:

بأن من الممكن أن يكونا - عمر وسلمان - قد اشتركا في غرسها،

بهامش الشفاء نفسه) ج ١ ص ٣٣٢ والبحار ج ٢٢ ص ٣٩٠، والدرجات
الرفيعة ص ٢٠٥ ونفس الرحمان ص ١٦.

(١) طبقات ابن سعد ج ٤ قسم ١ ص ٥٧ و ٥٨ وشرح الشفاء للقاري ج ١
ص ٣٨٤ عن البخاري، ومزيل الخفاء عن الفاظ الشفاء (مطبوع بهامش
الشفاء) ج ١ ص ٣٣٢ عن البخاري في غير صحيحه، ونفس الرحمان
ص ١٦ ومسنند أحمد ج ٥ ص ٤٤٠.

(٢) الشفاء ج ١ ص ٣٣٢.

(١)

فصح نسبة ذلك لهذا تارة، ولذاك أخرى .

«ويجوز أن يكون كل واحد من سلمان وعمر غرس بيده النخلة،
أحدهما قبل الآخر» .

ولنا أن نعلق على ذلك: بأنه بعد نهي النبي لسلمان عن ذلك؛ فلا يعقل أن يقدم على مخالفة النبي «صلى الله عليه وآله»، وسلمان هو من نعرف في انقياده، والتزامه المطلق، بأوامر الله سبحانه، ورسوله «صلى الله عليه وآله»؛ فلا يمكن أن نصدق: أنه قد خالف أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

وكيف لم يتدخل في غرس مائتين وتسع وتسعين، وتدخل في خصوص هذه الواحدة، دون سواها؟!!

هذا بالإضافة إلى صحة سند ما روي عن عمر.. وكثرة الناقلين له، وعدم نقل ذلك عن سلمان إلا عند ابن سعد في طبقاته..

وإذا كان الراجح - إن لم يكن هو المتعين - أن سلمان لم يتدخل في هذا الأمر، ولا خالف النهي المتوجه إليه من قبل رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

وإذا كان النهي إنما توجه إلى سلمان، لا إلى عمر، فإن إقدام

(١) شرح الشفاء لملا علي القاري ج ١ ص ٣٨٤ ومزيل الخفاء عن الفاظ الشفاء

(مطبوع بهامش الشفاء) ج ١ ص ٣٣٢.

(٢) نفس الرحمان ص ١٦.

عمر على هذا الأمر، يصبح أكثر معقولة، وأقرب احتمالاً.. فهو قد أراد أن يجرب حظه في هذا الامر أيضاً، ولعله يريد اظهار زمالته، للرسول «صلى الله عليه وآله»، وهو القائل «أنا زميل محمد»^(١) فكما أن النخل يثمر على يد رسول الله «صلى الله عليه وآله»؛ فانه يثمر على يده أيضاً.. وكما أن الرسول يقوم ببعض الأعمال؛ فان غيره أيضاً قادر على أن يقوم بها؛ فليس ثمة كبير فرق - فيما بينهم، وبينه «صلى الله عليه وآله»، على حدّ زعمه، أو هكذا خُيل له على الأقل..

وأما أنه لماذا لم يغرس سوى نخلة واحدة، فلعله يرجع إلى أنه حين رأى النبي «صلى الله عليه وآله» ينهى سلمان عن أن يغرس شيئاً منها، فانه قد تردّد في ذلك، وحاذر من أن يتعرض لغضب النبي «صلى الله عليه وآله»، وانكاره.. ثم تشجع أخيراً، وجرب حظه في نخلة واحدة.. الامر الذي تفرد فيه دون سائر الصحابة الآخرين، ولم يقدم عليه لا أبو بكر، ولا غيره.. وقد يكون السبب في ذلك هو أنه لم يكن في حوزته سوى هذه النخلة.

ولكن قد شاءت الارادة الإلهية: أن يحفظ ناموس النبوة، وأن تخيب كل الطموحات، وتتحطم كل الآمال، التي تريد أن تتال من ذلك الناموس، أو تستفيد منه في مسار انحرافي آخر، لا يلتقي معه، ولا

(١) راجع: تاريخ الأمم والملوك للطبري (ط الاستقامة) ج ٣ ص ٢٩١.

ينتهي إليه. وتجلى هذا اللطف الإلهي في أن النخل قد اثمر كله، سوى هذه، حتى أعاد رسول الله «صلى الله عليه وآله» غرسها بيده الشريفة من جديد، فظهرت البركات، وتجلت الكرامة الإلهية..

دور خليسة في عتق سلمان:

وقد جاء في بعض روايات عتق سلمان: أنه كان لامرأة اسمها خليسة، كانت قد اشترته، ثم بعد أن أسلم سلمان أرسل إليها رسول الله «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام»، يقول لها: أما أن تعتقي سلمان، وأما أن اعتقه؛ فان الحكمة تحرمه عليك.

فقالت له: قل له: إن شئت، اعتقه، وإن شئت فهو لك.

قال رسول الله: اعتقيه أنت؛ فاعتقه.

قال: فغرس لها رسول الله «صلى الله عليه وآله» ثلاث مائة

فسيلة..

(١)

وفي لفظ آخر: فقالت: ما شئت؛ فقال: اعتقه..

ونقول:

١ - إن الرواية التي قدمناها في مكاتبته لمولاه على غرس النخل،

(١) راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٩ واسد الغاية ج ٥ ص ٤٤٠ والاصابة

ج ٤ ص ٢٨٦ عن ابن مندة، وقالوا: أخرجه أبو موسى، في الأحاديث

الطوال.. ونفس الرحمان ص ٢٢ عن المنتقى، وأشار إلى ذلك في تهذيب

التهذيب ج ٤ ص ١٣٨ و ١٣٩ عن العسكري.

حتى تطعم، وعلى أربعين أوقية.. وغير ذلك مما دل على أن الرسول «صلى الله عليه وآله» قد اشتراه، واعتقه، ينافي ذلك..

٢ - إن كتاب المفاداة المتقدم ينافي ذلك أيضاً، لأنه كتب باسم عثمان بن الاشهل القرظي..

إلا أن يدعى: أن خليصة كانت زوجة لعثمان هذا، أو من أقاربه، أو غير ذلك، فلا مانع من كتب الكتاب باسمه نيابة عنها. ولكن ذلك يبقى مجرد احتمال، يحتاج إلى شاهدٍ وعاضد، وهو مفقود.

٣ - لماذا يأمرها النبي «صلى الله عليه وآله» بعنق سلمان، ولم يأمر غيرها؛ من الذين كانوا يملكون أرقاء مسلمين؟! (١)

٤ - ما معنى قوله: اما أن تعتقيه أنت، أو أعتقه أنا؛ فهل يريد «صلى الله عليه وآله» استعمال ولايته في هذا المجال؟! (٢)

٥ - وإذا كانت قد أسلمت قبل أن يرسل إليها بهذا الأمر؛ فما معنى قوله «صلى الله عليه وآله»: فان الحكمة تحرمه عليك؟! (٣)

فهل كانت قد تزوجته، ولا يصح تملك المرأة لزوجها؟ أم أنه كان اباً لها؟! أم ماذا؟! (٤)

(١) قد يقال بعدم وجود أرقاء مسلمين في أيدي غير المسلمين. ولكن يرد عليه:

أن خليصة قد أسلمت حسب نص الرواية فلماذا يوجب عتقه عليها.

(٢) راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٩.

هذا مع أنه حتى لو فرض ذلك، فإنه ينعقد عليها قهراً في
الفرض الثاني، وينفسخ النكاح في الفرض الأول..

٦ - وإذا كانت لم تملكه لابه كان حراً، وقد ظلموه؛ فباعوه لها؛
فان ذلك لو صح أنه كافٍ في ذلك؛ لمنع من أصل عبوديته؛ فلا حاجة
بعد ذلك لعتقه، لا من قبله «صلى الله عليه وآله»، ولا من قبلها..

٧ - وإذا كانت تملكه، ولا بد من عتقه؛ فلماذا لا يشتريه منها؟ أو
لماذا لا تكاتبه هي؟! ولماذا تؤمر بعتقه من الأساس؟! إلا على سبيل
الحث والترغيب في الأجر، لا على سبيل التهديد، وبأسلوب القهر..

٩ - وما معنى التناقض في رواية عتقها له تارة، وعتق النبي
«صلى الله عليه وآله» نفسه له تارة أخرى؟!.

بقي علينا أن نعرف:

من الذي حرّر سلمان؟!

هناك نصوص كثيرة تفيد: أن النبي «صلى الله عليه وآله» هو
الذي حرّر سلمان من الرق.

١ - وقد عدّه كثير من العلماء والمؤرخين من موالي رسول الله
«صلى الله عليه وآله» .

(١) رجال ابن داود ص ١٧٥ وخلاصة الاقوال للعلامة ص ٤١ والفهرست
للشيخ الطوسي ص ١٥٨ وتاريخ الامم والملوك (ط الاستقامة) ج ٢
ص ٤١٩ وراجع المصادر التالية: ذكر أخبار اصبهان ج ١ ص ٥٤ وشرح

٢ - وعن بريدة: «كان لليهود؛ فاشتراه رسول الله «صلى الله عليه وآله» بكذا وكذا درهما، وعلى أن يغرس له نخلاً، يعمل فيها سلمان حتى تطعم، فغرس رسول الله «صلى الله عليه وآله» النخل» .

٣ - وسئل الشعبي: هل كان سلمان من موالي رسول الله؟ قال: نعم. أفضلهم. كان مكاتباً؛ فاشتراه؛ فأعتقه .

٤ - وقال الخطيب البغدادي: «أدى رسول الله «صلى الله عليه وآله» كتابته، قهر إلى بني هاشم» .

٥ - وقال المبرد: «وكان «صلى الله عليه وآله» أدى إلى بني

النهج للمعتزلي ج ١٨ ص ٣٤ ومصابيح الانوار ج ١ ص ٣٥٦ عن القرطبي، والاستيعاب بهامش الاصابة ج ٢ ص ٥٧ وقاموس الرجال ج ٤ ص ٤٣٣ عنه، والبحار ج ٢٢ ص ٣٩٠ وحلية الاولياء ج ١ ص ١٩٥ ونفس الرحمان ص ٢٠ و ٢١ عن بعض من تقدم، والمناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ١٧١.

(١) مجمع الزوائد ج ٩ ص ٣٣٧ عن أحمد، والبزار، ورجاله رجال الصحيح. وشرح النهج للمعتزلي الحنفي ج ١٨ ص ٣٥، وشرح الشفاء لملا علي القارى ج ١ ص ٣٨٤.

(٢) أنساب الاشراف (قسم حياة النبي «ص») ج ١ ص ٤٨٧ وقاموس الرجال ج ٤ ص ٤٢٩ عنه.

(٣) تاريخ بغداد ج ١ ص ١٦٤ و ١٦٣.

قريظة مكاتبة سلمان، فكان سلمان مولى رسول الله «صلى الله عليه وآله»؛ فقال علي بن أبي طالب «عليه السلام»: سلمان منا أهل البيت» .

٦ - وقال أبو عمر: «.. وقد روي من وجوه: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» اشتراه على العتق» .

٧ - وتقدم كتاب المفاداة، الذي ينص على أن ولاء سلمان هو لمحمد بن عبدالله رسول الله، وأهل بيته، فليس لاحد على سلمان سبيل..

٨ - وفي مهج الدعوات، في حديث حور الجنة، وتحفها، مسنداً عن فاطمة «عليها السلام»، قالت: فقلت للثالثة: ما اسمك؟
قالت: سلمى.

قلت: ولم سميت سلمى؟

قالت: خلقت أنا لسلمان الفارسي، مولى أبيك رسول الله «صلى الله عليه وآله» .

٩ - وفي رسالة سلمان إلى الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، كتب

(١) الكامل ج ٤ ص ١٤ .

(٢) الاستيعاب، بهامش الاصابة ج ٢ ص ٥٧ .

(٣) نفس الرحمان ص ٢١ .

(١)

له سلمان: من سلمان مولى رسول الله «صلى الله عليه وآله» .

١٠ - وروى الحاكم أن علي بن عاصم ذكر في حديث إسلام سلمان: أنه كان عبداً؛ فلما قدم النبي «صلى الله عليه وآله» المدينة، أتاه، فأسلم؛ فابتاعه النبي «صلى الله عليه وآله»، واعتقه .

١١ - وفي حديث سلام سلمان على أهل القبور، قال «رحمه الله»: سألتكم بالله العظيم، والنبي الكريم، إلا أجابني منكم محيب؛ فأنا سلمان الفارسي، مولى رسول الله «صلى الله عليه وآله» .

١٢ - وعن ابن عباس قال: رأيت سلمان الفارسي «رحمه الله» في منامي؛ فقلت له: يا سلمان، أأنت مولى النبي «صلى الله عليه وآله» وآله؟

(٤)

قال: بلى؛ فاذ عليه تاج من ياقوت إلخ..

١٣ - هذا بالإضافة إلى الحديث الذي يقول سلمان في آخره: فأعتقني رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وسماني سلماناً..

(١) الاحتجاج ج ١ ص ١٨٥ ونفس الرحمان ص ٢١ عنه.

(٢) معرفة علوم الحديث ص ١٩٨.

(٣) نفس الرحمان ص ٢١ عن فضائل شاذان بن جبرائيل القمي.

(٤) روضة الواعظين ص ٢٨١ ونفس الرحمان ص ٢١ عنه.

(٥) روضة الواعظين ص ٢٧٨ والبحار ج ٢٢ ص ٣٥٨ والدرجات الرفيعة ص ٢٠٣ واكمال الدين ص ١٦٥، ورواه في نفس الرحمان ص ٦ عن بعض من تقدم، وعن قصص الانبياء للراوندي، وعن الحسين بن حمدان،

أبو بكر وعتيق سلمان:

وبعد كل ما تقدم، فإننا نعرف: أن دعوى: أن أبا بكر قد اشترى سلمان، فأعتقه^(١)، لا يمكن أن تصح بأي وجه..

ويكفي في ردها حديث كتاب المفاداة المتقدم، بالإضافة إلى النصوص الأنفة الذكر.. إلى جانب النصوص الأخرى، التي تدعى: أنه قد اعانته الصحابة ورسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى أدى ما عليه من مال الكتابة، وإن كان اتضح: أنها أيضاً غير خالية عن المناقشة..

لماذا يكذبون:

ولعل أهمية سلمان، وعظمته وجلالته في المسلمين، قد جعلت البعض يرغبون في ان يجعلوا للشخصيات التي يحترمونها، ويهتمون في حشد الفضائل لها، نصيباً في هذا الرجل الفذ، وفضلاً لها عليه.. حتى ولو كان ذلك على حساب كرامات وفضائل رسول الله «صلى الله عليه وآله» نفسه، فإن الإغرة على بعض فضائله وكراماته «صلى الله عليه وآله»، ونسبتها إلى غيره، لا تنقص من شأنه -

وعن الدر النظيم.

(١) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٩ وتهذيب تاريخ دمشق ج ٦ ص ١٩٩ عن البيهقي، ونفس الرحمان ص ٢١ عن المنتقى والحديث بطوله في مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٥٩٩ - ٦٠٢.

بزعمهم - شيئاً؛ إذ يكفيه شرفاً: أنه النبيّ الهادي لهذه الامة، وأنه رسول الله.

كما ان ذلك يمكن أن يكون ردة فعل على تلك الرواية التي لا يجدون دليلاً ملموساً على ردها وتكذيبها، والتي تقول:

إنه أسلم في مكة، وحسن إسلامه؛ وأن النبيّ «صلى الله عليه وآله» شاوره - امتحاناً له - فيمن يبدأ بدعوته في مكة، فجال سلمان في أهل مكة يخبّرهم، ويشيرهم، ويجتمع مع النبيّ «صلى الله عليه وآله» وأبي طالب لهذا الغرض، ثم أشار بدعوة أبي بكر؛ لأنه معروف بين العرب بتعبير الأحلام، وهم يرون فيه ضرباً من علم الغيب، مع معرفته بتواريخ العرب، وانسابها، بالاضافة إلى أنه معلم للصبيان، ويطيعه ويجله من أخذ عنه من فتيانهم، ولكلامه تأثير فيهم؛ فاذا آمن فلسوف يكون لذلك أثره، ولسوف تلين قلوب كثيرة.. لا سيما وان معلمي الصبيان راغبون في الرياسة، فاستصوب النبيّ «صلى الله عليه وآله»، وأبو طالب ذلك، وشرح سلمان في دلالة الرجل، وادخاله في الإسلام .

فلعل سلمان - كما تدل عليه هذه الرواية، ويظهر من غيرها - كان في بدء أمره في مكة واسلم هناك، ثم انتقل إلى المدينة.

(١) راجع: نفس الرحمان ص٤٨ عن بعض الكتب المعتبرة وص ٢٧ و ٢٨ عن كتاب الكشكول فيما جرى على آل الرسول للعبدي.

وعن تقدم إسلام سلمان، نجد عدداً من الروايات تشير إلى ذلك .

ومن ذلك: أن اعرابياً سأل النبيّ «صلى الله عليه وآله» عنه فقال: أليس كان مجوسياً، ثم أسلم؟! فقال «صلى الله عليه وآله»: يا أعرابي، أخطبك عن ربي، وتقاولني؟! إن سلمان ما كان مجوسياً، ولكنه كان مضمراً للايمان، مظهراً للشرك .

(١) راجع: ذكر أخبار اصبهان ج ١ ص ٥١ وتهذيب تاريخ دمشق ج ٦ ص ١٩٣ والبحار ص ٣٥٥ - ٣٥٩، واكمال الدين ص ١٦٢ - ١٦٥ وروضة الواعظين ص ٢٧٥ - ٢٧٨ والدرجات الرفيعة ص ٢٠٣ ونفس الرحمان ص ٥ - ٦ عن بعض من تقدم وعن غيرهم.

(٢) الاختصاص ص ٢٢٢ والبحار ج ٢٢ ص ٣٤٧ وقاموس الرجال ج ٤ ص ٤٢٩ ونفس الرحمان ص ٤.

الفصل الثالث:

وعي.. ومسؤولية

بداية:

هناك الكثير من الروايات التي تؤكد، على علم سلمان وفضله، ومقامه الشامخ في الإيمان، والإسلام والمعرفة.. وعلى زهده، وتقواه، وعلى كريم خصاله، وحميد فعاله..

وهناك أيضاً أحداث، وقضايا، ومواقف كثيرة تثبت ذلك، وتؤكد، كما وتثبت بُعد نظره «رحمه الله»، وثاقب فكره، ونفاذ بصيرته..

ولا نريد هنا: أن نستقصي ذلك كله بالدراسة والتحليل، فانه أمر متعسر، بل متعذر علينا فعلاً، وإنما نريد ذكر نموذج من ذلك، تذكرة لانفسنا، ووفاء منا لحقيقة وللتاريخ، ونترك سائر ذلك إلى جهد الباحثين، وعناء الدارسين.. فنقول:

إذا اقتتل القرآن والسلطان:

قال سلمان لزيد بن صوحان: كيف أنت يا زيد إذا اقتتل القرآن والسلطان؟!

قال: أكون مع القرآن.

(١)

قال: نعم الزيد أنت إذن ..

إن هذا النص يعطينا: أن سلمان قد وضع اصبعه على أمر دقيق. وهام للغاية، وله دور أساس ورئيسي في تكوين شخصية الإنسان المسلم، وله تأثير مباشر، وقوي فيما يتخذه من مواقف، وفيما يقوم به من أعمال.

ثم هو يمس بالتالي، مستقبل الامة الإسلامية، ومصيرها، ومستوى ومنطلق ونوع تعاملها في القضايا الكبرى، التي تواجهها، هذا.. عدا عن مساسه بالتركيبة السياسية، التي لا بد وان تترك آثاراً كبيرة وعميقة على المجتمع المسلم، وعلى جميع خصائصه، وأوضاعه بصور عامة.

وذلك لان القاء نظرة فاحصة على حالات الناس وافكارهم، وخصوصاً في تلك الفترة، توضح لنا: أن الناس كانوا على حالات شتى.

ففرق منهم لا يرى الحق والخير، إلا من خلال ذاته، ونفسه، فهو المعيار، والميزان، والمحور لذلك، فمبقدار ما يجلب له نفعاً، ويدفع عنه ضرراً في هذه الحياة الدنيا، فهو خير، وحق، وحسن ومقبول، تجب نصرته على كل أحد، ولا ضير في أن يضحى الآخرون بكل غالٍ، ونفيس، - حتى بأنفسهم - من أجله، وفي سبيله..

شرط أن لا تصل النوبة إلى شخص هؤلاء بالذات، لأن المفروض هو أن المسؤولية، كل المسؤولية، تقع على عاتق الآخرين دونهم. وهكذا.. فان القرآن والإسلام لا يمثل لهذا النوع من الناس شيئاً، إلا بالمقدار الذي يتفق مع هذه النظرة، ويحقق لهم هذه النتائج، حتى إذا رأوا: أن مصالحهم الخاصة ومآربهم الشخصية تتعرض للخطر، فان على القرآن، والإسلام، والحق أن يتراجع، وأن يعترف بأنه مخطيء، بل ومسرف في الخطأ، وحيث لا بد من احترام القرآن والإسلام، فلا أقل من اتهام المسلمين، والعلماء، وغيرهم بالخطأ، أو بتعمد الخطأ في فهمهما..

وفريق آخر: يرى: أن الحق كل الحق دائماً في جانب القوي، ومعه؛ فلا بد من اعطاء الحق لذي الحق مهما كلف الأمر، ومهما تكن النتائج.

وذلك بسبب ضعف في نفوس هذا النوع من الناس، وانهمزام في ذواتهم وشخصياتهم..

وفريق ثالث: قد احاط الحاكم بهالة من الاحترام والقداسة، لا لشيء إلا لانه حاكم ومتسلط، ويدين الله بالخضوع له، والالتزام بأوامره، والانتهاه إلى نواهيه؛ وذلك لانه قد خدع بما حاول الحكام أن يشيعوه، من أن سلطتهم سلطة إلهية، مفروضة على الناس، لا يمكن لهم الخلاص منها، لان تلك هي ارادة الله سبحانه ومن هنا.. فإن الله سبحانه قد طلب من الناس أن يُدخلوا في عقائدهم وأحكامهم،

عقيدة عدم جواز الخروج على السلطان، من كان، ومهما كان، لانه يمثل ارادة الله سبحانه على الأرض، فمعصيته، والاعتراض عليه يوجب العقاب والعذاب الأليم يوم القيامة..

بل لقد حاول البعض أن يقول: إنه ليس على السلطان - الخليفة - عذاب ولا عقاب يوم القيامة ، مهما فعل من موبقات، ومهما اقتترف من جرائم.

وبعد ذلك كله.. فقد كان سلمان يعي وجود هذا التيار المنحرفة في المجتمع الإسلامي، ويعرف في المسلمين ما يعطي أن كثيراً منهم يتعامل مع الامور من خلال هذه النظرة، أو النظرية، أو تلك..

وهو يعتبر: أن ذلك انحراف عن الخط الإسلامي القويم، لان الإسلام يرفض: أن يعتبر الإنسان نفسه وذاته كشخص محوراً للحق والباطل، والخير والشر.

ويرفض أيضاً: أن يصبح الإنسان المسلم على درجة من الضعف والانهزام، إلى حدّ أن يعتقد: أن الحق للقوي، ومعه..

ويرفض كذلك تقديس الحاكم لمجرد كونه حاكماً، فان القداسة ما هي إلا بالتزام طريق الاستقامة والتقوى، والعمل الصالح..

كما ويرفض أيضاً: نظرية الجبر الألهي، في حاكمية الطغاة، والجبارين،

والمستبدين، والمنحرفين..

نعم.. إن سلمان يعي ذلك كله.. فينطلق من موقع المربي، والمسؤول، في محاولة اكتشاف أي خلل أو خطأ حتى في مثل شخصية زيد الرجل العظيم، والتميز، فيحاول أن يثير فكره ووعيه، وإن يرضه بدقة ليعرف إن كانت شخصيته قد تلوثت بهذه الاوبئة، وتأثرت بهائيك الانحرافات.. من أجل أن يعالجه بالدواء الناجع، بعد معرفة الداء، إن كان..

التوازن في شخصية الإنسان المسلم:

ولم تكن هذه هي المرة الوحيدة التي يتعامل فيه سلمان مع اخوانه من موقع المربي والناصح والمسؤول، فهناك مواقف كثيرة له، لها هذا المنحى التربوي الهادف، ولا نريد استقصاء ذلك في حياته رضوان الله تعالى عليه..

بل نكتفي هنا بتسجيل حادثة واحدة له، مع زيد بن صوحان، ولعلها أيضاً - تكررت له مع أبي الدرداء، حسبما ورد في بعض النصوص الأخرى.

فإننا نجد سلمان - قد اكتشف في زيد جنوحاً إلى العبادة، والعزوف عن الدنيا بصورة تجاوز فيها حالة الاعتدال، الأمر الذي من شأنه أن يحدث خللاً - غير مسموح به - في تعامله مع ما ومن يحيط به.. ويفقد معه قسطاً كبيراً من حالة التوازن، التي يفترض أن تكون قائمة في مجال الاستفادة من أعمال البر والخير، بحيث لا يؤثر

ذلك على تعامله مع جهات أخرى لا بد له من تحقيق مستوى معين من التعامل معها..

وواضح: أن مسألة التوازن مسألة حساسة وخطيرة، تمس شخصية الإنسان المسلم في العمق، وترتبط بمجمل مواقفه، وسلوكه، وكل شؤون حياته. وان الاخلال بها معناه حدوث نقص في الدين، لا بد من التحرز منه، والمبادرة إلى تصحيحه قبل أن يتحول إلى كارثة حقيقية..

نعم.. وقد أحس سلمان أيضاً: أن زيدا قد بدأ يتعامل مع العبادات الدينية تعاملأ قشرياً، يجعله يستغرق بالحققة، حتى يبتعد عن روح الشريعة، ويحبس نفسه في قممٍ جذب، ومقل؛ ويحرم نفسه من العيش في رحاب الله سبحانه، فلا يوفق للانطلاق الهادفة في آفاقه الرحبة، الزاخرة بالعطاء، الغنية بالمواهب.

نعم.. إن سلمان حينما أحسّ أن زيد بن صوحان يتعرض لهذا الخطر الاكيد، ويوشك أن تزل به قدمه.. فانه من موقع المربي المشفق، يعمل على تصحيح الخطأ، واعادة الامور إلى نصابها..

يقول النص التاريخي عن زيد: إنه: «كان يقوم الليل، ويصوم النهار، وإذا كانت الجمعة أحيها، وإنه ليكرهها إذا جاءت، لما يلقى بها؛ فبلغ سلمان ما كان يصنع، فأتاه، فقال: أين زيد؟

فقالت امرأته: ليس هاهنا.

قال: فاني أقسم عليك: لَمَّا صنعت طعاماً، ولبست محاسن ثيابك.

ثم بعث إلى زيد، فقرب إليه الطعام، وقال له: كل يا زيد.
فقال: إني صائم.

فقال: كل يا زيد، لا تنقص دينك، إن شر السير الحقة، إن لعينك عليك حقاً، وإن لبدنك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً.
فأكل زيد، وترك ما كان يصنع .
وقريب من ذلك يروى لسلمان مع أبي الدرداء أيضاً .

الارض لا تقدس أحداً:

وفي مجال رفض المفاهيم الخاطئة، ورفض التعامل مع القضايا الدينية تعاملاً قشرياً وسطحياً، يفقدها مضمونها الرسالي العميق، نجد لسلمان «رحمه الله» تعالى موقفاً آخر من أبي الدرداء أيضاً..
 فقد كتب أبو الدرداء إلى سلمان: أن هلم إلى الارض المقدسة - أي بلاد الشام -.

فكتب إليه سلمان يعلمه: أن الارض لا تقدس أحداً، وإنما يقدر

(١) تهذيب تاريخ دمشق ج ٦ ص ١٥ وتاريخ بغداد ج ٨ ص ٤٣٩ وقاموس الرجال ج ٤ ص ٤٢٦ عنه.

(٢) راجع: حلية الاولياء ج ١ ص ١٨٨ وإحياء علوم الدين ج ١ ص ٣٤٧ والاستيعاب بهامش الاصابة ج ٢ ص ٦٠ و ٦١ والمحجة البيضاء ج ٢ ص ٣٧٧ و ٣٧٨ وفي هامشه عن صحيح البخاري ج ٢ ص ٦٣.

(١)
الإنسان عمله .

واقعية زهد سلمان:

وقد يعتبر الكثيرون: أن الزهد معناه هو معاناة حالة من التقشف، ومقاساة شظف العيش، بصورة شاقة وقاسية.

ولكن سلمان الفارسي - الذي أدرك علم الاول والآخر، إنما يريد أن يربي نفسه على الزهد الواقعي، ويفرغ قلبه عن التفكير بالدنيا بصورة حقيقية، ولا يريد أن يدخل في صراع مع نفسه، ولو مرة واحدة، بل هو يريد أن يجعلها مطمئن، لينصرف بكل عقله وفكره، وجوارحه، وباستمرار إلى الله سبحانه، لا يشغله شيء عنه سبحانه. فكان إذا أخذ عطاءه رفع منه قوته لسنته، حتى يحضر عطاءه من قابل.

فقيل له: أنت في زهدك ! تصنع هذا !! وأنت لا تدري لعلك تموت اليوم، أو غداً؟!..

فقال: ما لكم لا ترجون لي البقاء، كما خفتم عليّ الفناء؟! أما علمتم: - يا جهلة - أن النفس قد تلتاث على صاحبها، إذا لم يكن لها من العيش ما تعتمد عليه؛ فإذا هي أحرزت معيشتها أطمأنت .

(١) تهذيب تاريخ دمشق ج ٦ ص ٢٠٩ وراجع: المصنف لابن أبي شيبة ج ١٣

ص ٣١٨ و ٣٣١ و ٣٤٠.

(٢) قاموس الرجال ج ٤ ص ٤٢٥ و ٤٢٦ عن الكافي.

فهذا النص يؤكد لنا:

١ - أن سلمان لا يريد ولو لمرة واحدة: أن ينشغل بنفسه وينصرف عن الله سبحانه.

٢ - إنه يتعامل مع طموحات نفسه وميولها، من موقع العارف والواعي، الذي يفكر بعمق بالداء وبالذواء على حد سواء، ويكون علاجه للحالة التي يعاني منها أساسياً وواقعياً..

٣ - يلاحظ: أن المعترضين - يشهدون له بالزهد والعزوف عن الدنيا، ولكنهم لم يعرفوا سر تعامله ذاك، فوقعوا بالحيرة.

٤ - إنه قد الفهم إلى خطأهم في طرح المعادلة التي بنوا عليها نظريتهم تلك وكان تقييمه لتلك المعادلة الفكرية قائماً على أساس النظرة الواقعية أيضاً، لا على أساس المظاهر الخادعة، والشعارات البراقة.

وهناك أمور أخرى يمكن استخلاصها من النص المذكور، ولكننا لا نرى ضرورة للتعرض لها في عجلة كهذه.. فنكتفي بهذا القدر، ونوفر الفرصة للحديث عن جوانب أخرى، في شخصية وحياة هذا الرجل الفذ.

هكذا ينجو المخفون:

عن كتاب المحاسن: وقع حريق في المدائن؛ فأخذ سلمان مصحفه

(١)

وسيفه، وخرج من الدار، وقال: «هكذا ينجو المخفون» .

و«قيل دخل عليه رجل؛ فلم يجد في بيته الا سيفاً ومصحفاً، قال:
ما في بيتك إلا ما أرى؟!»

قال: (٢) إن امامنا منزل كؤود، وأنا قد قدمنا متاعنا إلى
المنزل» .

ومما يمكن اعتباره في هذا السياق، ما روي بسند معتبر: عن أبي
عبدالله «عليه السلام»، قال:

«كان لعلي «عليه السلام» بيت ليس فيه شيء، إلا فراش^(٣)،
وسيف، ومصحف، وكان يصلي فيه - أو قال: كان يقبل فيه..» .

فلماذا السيف والمصحف، دون سواهما، يا ترى؟

ماذا نستوحي من ذلك؟

وكيف نستفيد العبرة منه؟!

سؤال لابد وان يراود أذهان الكثيرين!! وتتشوف نفوسهم إلى
معرفة الجواب عنه، بصور مقنعة، ومقبولة.

ولسوف نحاول هنا معالجة الاجابة عنه، رغم اقتناعنا بأن توفيته

(١) قاموس الرجال ج ٤ ص ٤٢٥ والدرجات الرفيعة ص ٢١٥ ونفس الرحمان
ص ١٤٠ عن الانوار النعمانية.

(٢) الدرجات الرفيعة ص ٢١٥ ونفس الرحمان ص ١٤٠ عن الانوار النعمانية.

(٣) المحاسن للبرقي ٦١٢ والبحار ج ٧٣ ص ١٦١ والوسائل ج ٣ ص ٥٥٥.

حقه، تتطلب فرصة أوفر، وتوفراً أتم.. ولكننا سوف نكتفي هنا بإشارة خاطفة ومحدودة، تصلح لان تكون مدخلاً مناسباً للاجابة التامة والمقبولة، فنقول:

إن الله سبحانه، حينما أوجد هذا الكائن، قد أراد له أن يكون إنساناً بالدرجة الاولى، ثم هو أراد له أن يكون حراً..

فكل ما يتنافى مع هذه الإنسانية، ومع تلك الحرية، ويحدّ من فاعليتها، يكون مناقضاً لفطرة الإنسان وغير منسجم معها، ولا متوافق مع ما يريده الله سبحانه لهذا الإنسان..

(والبحث عن هذه الحرية، وحقيقتها، وحدودها، وضوابطها بنظر الإسلام، دقيق، وعميق، وهام، ولكن ليس محله هنا؛ فلا بدّ من إحالة ذلك إلى فرصةٍ اخرى، ومجال آخر، إن شاء الله تعالى..).

وبالنسبة إلى الجانب الآخر نقول:

لقد بعث الله سبحانه الرسل، وأنزل الكتب؛ ليطهر الناس، وليزكيهم، ويربيهم من جهة.. وليعلمهم الكتاب والحكمة من جهة ثانية..

ثم أنزل الحديد فيه بأس شديد..

قال تعالى: في مقام بيان هذه العناصر: (.. هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ

(١)

وَالْحِكْمَةَ .

وقال: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ) (٣)

وعن دعوة ابراهيم واسماعيل، قال تعالى: (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (٣)

وقال تعالى أيضاً: (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) .

المرحلة الاولى:

إنه حينما يرسل الله سبحانه رسله إلى الناس؛ فان الناس يواجهونهم بالاستغراب، والانكار؛ فتمس الحاجة إلى اظهار البيّنات، المشار إليها في آية سورة الحديد، والحجج والبراهين الدامغة، والقاهرة، التي تثبت صحة ما يقولون، سواء أكان ذلك من قبيل

(١) الآية ٢ من سورة الجمعة.

(٢) الآية ٢٥ من سورة الحديد.

(٣) الآية ١٢٩ من سورة البقرة.

(٤) الآية ١٦٤ من سورة آل عمران.

المعجزات، وخوارق العادات أو من قبيل توجيه الناس نحو التفكير في عجائب الكون، غرائب الخلقة، أو من قبيل التذكير بأيام الله، وبما جرى على الماضين، أو بالبشارات التي تتحقق، أو بغير ذلك من الحجج القاطعة، والبراهين الساطعة..

وهذه البيّنات تكون بمثابة صدمة قوية، لا بد وأن يذعن العقل معها للحق، وينصاع له.. ولعلّ قسماً من هذه البيّنات تبينه الآيات التي يتلوها عليهم، كما أشارت إليه آيات سورة الجمعة - والبقرة، وآل عمران، الأنفة الذكر - حيث قرن تعليم الكتاب بتلاوة الآيات الإلهية عليهم..

المرحلة الثانية:

وبعد.. أن يذعن العقل للحق، ويأتي دور التزكية، وبث الفضائل والمزايا الخيرة، والنبيلة في نفس الإنسان، ثم تصفيتها من الرواسب والشوائب، وإقناع الإنسان بأن عليه أن لا يستكبر، ولا يعلو، وأن لا يكون حقوداً، ولا حريصاً، ولا جباناً.. إلخ.. «ويزكاهم».

فيبذر في نفسه بذور الخير، والبركة، والصلاح، الامر الذي يهيؤه لمزيد من الفهم، ولمزيد من التعقيل والوعي لاحكام الدين وتشريعاته ويجعله على استعداد لان يبذل جهده في سبيل تطبيق هذه الاحكام على نفسه ويعمل، ويجدّ، ويتحمل المشاق لتطبيقها، على مجتمعه؛ فان الاخلاق هي أساس الدين، ولا بد للدين منها؛ وذلك لأن عبادة الله سبحانه، لا تتلاءم مع الاستكبار: (إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا

(١) يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ .

ولولا استكبار فرعون لكان آمن، وقبل الحق.. وكذلك إبليس.
 كما أن عبادة الله سبحانه، لا تتلاءم مع سائر الرذائل الاخلاقية،
 كالكذب، والعلو، والظلم، والختر، والمكر السيء، وغير ذلك..
 فالذي لا يتخلص من رذائل الاخلاق، وإن كان قد يستيقن بالحق؛
 نتيجة لما يتلى عليه من الآيات، ويراه من البيئات الظاهرة، والقاهرة،
 ولكنه يكون من الجاحدين، الذين قال الله عنهم: (وَجَحَدُوا بِهَا
 وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا) .

ومما يشير إلى دور الاخلاق في قبول الحق، والاذعان، والتسليم
 له، قوله تعالى: (وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ
 كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ) .
 فقد قررت الآية دور الحسد في الصد عن قبول الحق الظاهر
 والبيّن لهم.

ثم تأتي المرحلة الثالثة:

وهي تعليم الكتاب، ونشر معارفه؛ عملاً بقوله تعالى: (يُعَلِّمُهُمُ

(١) الآية ٢٠٦ من سورة الأعراف.

(٢) الآية ١٤ من سورة النمل.

(٣) الآية ١٠٩ من سورة البقرة.

(١) **الكتاب** ؛ وذلك من أجل أن يعطيه الرؤية الصحيحة، والوعي الكافي لمعالجة مشكلات الحياة، والقضايا التي تواجهه، ويمنحه القدرة على تقييمها، بصورة صحيحة وسليمة، لكي ينطلق في مجال العمل عن وعي، وعن معرفة تامة بما يريد الله سبحانه منه؛ فيعمل بما يأمره به، ويجتنب عما ينهاه الله عنه.

المرحلة الرابعة:

ثم تأتي مرحلة، إثارة دفائن العقول، والابتعاد عن الجمود، واعطاء العقل دوره وأصالته، بتعليم من الله سبحانه، وفق الضوابط والقواعد الصحيحة، والسليمة، عملاً بقوله تعالى: «والحكمة» و «الميزان»، الذي لعله تعبير آخر عن الحكمة، التي تعني وضع الشيء في موضعه، من غير زيادة، ولا نقيصة..

وذلك لأنه لا بد من التعامل مع الامور بروح الحكمة، ولا سيما فيما يرتبط بالحياة الاجتماعية، التي تحتاج، إلى مزيد من الوعي، وإلى التدبر، ومن ثم إلى الموقف العادل والصحيح «ليقوم الناس بالقسط».

ويلاحظ هنا: أنه قد نسب القيام بالقسط إلى الناس. وهذا القيام إنما هو النتيجة الطبيعية لوعيهم، ولتكاملهم.

نعم.. إن التعامل مع الامور، لا بد أن يكون على أساس الحكمة،

(١) الآية ٢ من سورة الجمعة.

التي تعني إدراك الواقع أولاً، ثم التعامل معه بما يستحقه، فلا يظلمه بأن يبخره حقه، ولا يعتدي عليه، بأن يتخمه بالعطاء، حتى يفسد حياته، ويرهق وجوده..

إنزال الحديد.. لماذا؟!!

وطبيعي: أن قيام الناس بالقسط - كما أشارت إليه الآية - لسوف يصطدم بكثير من العقبات. وسوف يلقي معارضة قوية وساحقة من قبل الطواغيت والجبارين، والمستأثرين بمقدرات الامم.

ولسوف يصطدم أيضاً بأولئك الذين يكبلون الناس بمختلف أنواع القيود؛ بهدف أن يبقى المجال مفسوحاً، والباب مفتوحاً، أمامهم لاستغلال الناس، وامتصاص دمائهم..

كما ويمنعونهم من ممارسة حرياتهم في مختلف الشؤون، التي يرون أنها يمكن أن تؤثر على تلك الامتيازات الظالمة، التي يجعلونها لانفسهم، في مختلف مجالات الحياة.

فينزل الله سبحانه الحديد، فيه بأس شديد، ومنافق للناس؛ من أجل أن يصبح هذا الحديد سيفاً قاطعاً، يدافع عن منجزات القرآن، في صنعه لإنسانية الإنسان، ويؤمّن للإنسان حريته، التي جعلها الله سبحانه وتعالى له حريته في أن يفكر ويقرر، ثم في ممارسة حريته بالعمل طبق قناعاته وقراراته، بتعليم من الله سبحانه، ووفق شرائعه واحكامه.

ويكون هذا السيف، هو الاداة لنصرة الإنسان المؤمن، واعطائه

هويته الإنسانية، والذي هو في الحقيقة نصر لله سبحانه، ولرسله بالغيب؛ لان في ذلك نصراً لمبادئ الله سبحانه، ولاهدافه، وسننه في الكون، وفي الحياة. وفيه أيضاً نصر لرسله، في تحقيق الاهداف، التي عملوا، وجاهدوا، وضحوا من اجلها، بكل غال ونفيس.

فهل يمكن أن نستوحي من ذلك كله: خصوصية للسيف والمصحف في بيت علي «عليه السلام»، وعند سلمان «رحمه الله»؟!!

ففي المصحف الآيات البيّنات، التي تحكي لنا ما جرى للماضين، مما فيه عبرة وذكرى. وفيه الكثير من العظات، والامثال، والبشائر. وهو الذي يربي، ويزكي، وهو الذي يعلم، ويفهم. وهو الذي يثير دفائن العقول، ويعلم الناس الحكمة.. وهو نفسه معجزة خالدة، وآية بيّنة، وتحديّ خالد..

والسيف.. هو الحديد الذي فيه بأس شديد، باستطاعته أن يحمي منجزات القرآن، في صنع إنسانية الإنسان، وهو الذي يدافع عن حرية هذا الإنسان، وعن كرامته، التي أكرمه الله تعالى بها.

وهكذا.. فاننا نستوحي من علي «عليه السلام»، ومن سلمان: المغزى العميق للآيات القرآنية الشريفة، دون أن ينبسا ببنت شفة..

ويكون سلمان المحمدي غصناً من تلك الدوحة - دوحة الإسلام الباسقة - ويكون محمداً حقاً، ومن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليه وعليهم..

سلمان يفسر لنا المراد من: الصحابي:

عن أبي البختري، قال: جاء الأشعث بن قيس، وجريير بن عبد الله البجلي إلى سلمان (رض)؛ فدخلا عليه، في خصّ، في ناحية المدائن؛ فأتياه؛ فسألما عليه، وحيّياه، ثم قالوا: أنت سلمان الفارسي؟!!

قال: نعم.

قالا: أنت صاحب رسول الله «صلى الله عليه وآله».

قال: لا أدري.

فارتابا، وقالوا: لعله ليس الذي نريد.

فقال لهما: أنا صاحبكما الذي تريدان. قد رأيت رسول الله «صلى الله عليه وآله»^(١) وجالسته، وإنما صاحبه من دخل معه الجنة؛ فما حاجتكما.. إلخ .

فاذا كان من الجائز أن لا يكون الأشعث وجريير قد تعرفا على سلمان قبل ذلك، فان ما يلفت نظرنا هنا.

هو فهم سلمان للصحابي، ونظرته إليه؛ فهو يرى فرقاً واضحاً بين من يرى النبي «صلى الله عليه وآله» ويجالسه، وبين صاحب النبي «صلى الله عليه وآله» وأنيسه، فقد يراه ويجالسه، حتى الكافر والمنافق، فضلاً عن من خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً..

(١) حلية الاولياء ج ١ ص ٢٠١ تهذيب تاريخ دمشق ج ٦ ص ٢٠٩ عن الحافظ والطبراني.

ولكن صاحبه الذي يأنس به، ويرتاح إليه، هو خصوص ذلك الذي تؤمله اعماله الصالحة لذلك، في الدنيا والآخرة على حد سواء.. وهذا لا ينسجم مع ما هو شائع ومعروف لدى البعض، من أن الصحابي هو كل من رأى النبيّ مميّزاً مسلماً، حتى أنه لو ارتد لذهبت صحابيته، فان عاد عادت، كما يذكرونه عن طليحة بن خويلد..

مهمّات كبيرة:

وبعد.. فان التاريخ قد ذكر لنا أشياء كثيرة، تشير إلى أن سلمان الفارسي قد كانت له نشاطات، واعمال على جانب كبير من الاهمية.. فعدا عن أنه قد كان له موقف معارض في مسألة السقيفة، التي انتجت عدم وصول الخلافة إلى صاحبها الشرعي أمير المؤمنين علي «عليه السلام»، رغم تأكيدات الرسول «صلى الله عليه وآله» على أن علياً هو وليّ الامر بعده..

فانه - أعني سلمان - قد تولى على المدائن من قبل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب بالذات، واستمر والياً عليها سنوات كثيرة وإلى أن توفي «رحمه الله».

أضف إلى ذلك: أنه قد كُلف باختيار موضع الكوفة، ففعل،
(١)
وصلى فيه ركعتين، ودعا بدعاء .

(١) نور القبس ص ٢٣٢ وتاريخ الامم والملوك ج ٤ ص ٤١ و ٤٢.

(١) **وعدا عن أنهم يقولون:** إنه هو الذي أشار بحفر الخندق فانهم يقولون أيضاً: إنه حين رأى بعض مواضعه ضيقاً، بحيث يمكن للخيل أن تثب عنه، ويصل الأعداء إلى المسلمين. أمر بتوسعة ذلك الموضع منه، حتى فوّت الفرصة على المشركين .

وقد نصب النبيّ «صلى الله عليه وآله» منجنيقاً على الطائف، اتخذها سلمان الفارسي ويقال أيضاً: إنه هو الذي أشار بنصبها .

هذا كله.. بالإضافة إلى مشاركته في الغزو، وافتتاحه بعض البلاد (٤)

(٥) وكان المسلمون قد جعلوه رائد الجيش، وداعية أهل فارس .

فرحم الله سلمان الفارسي، وأسكنه من جناته أفسحها منزلاً،

(١) راجع: أنساب الاشراف للبلاذري (قسم حياة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم) ج ١ ص ٣٤٣، وتاريخ الامم والملوك ج ٢ ص ٥٦٦ ومغازي الواقدي ج ٢ ص ٤٤٥ وقاموس الرجال ج ٤ ص ٤٢٤ .

(٢) راجع: مغازي الواقدي ج ٢ ص ٤٦٥ .

(٣) انساب الاشراف (قسم حياة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم) ج ١ ص ٣٦٦ و ٣٧٧ و راجع: قاموس الرجال ج ٤ ص ٤٢٩ عنه .

(٤) مسند أحمد ج ٥ ص ٤٤٤ و ٤٤٠ و ٤٤١ و حلية الاولياء ج ١ ص ١٨٩ و راجع: طبقات المحدثين باصبهان ج ١ ص ٢٣٥ وذكر أخبار اصبهان ج ١ ص ٥٥ .

(٥) تاريخ الامم والملوك ج ٤ ص ١٤ و راجع ج ٣ ص ٤٨٩ .

وافضلها عرفاً؛ إنه وليّ قدير.

الفصل الرابع:
يعارضهم.. ويشاركهم

مشاركة المعارضة في الحكم:

ولعله يصح لنا: أن نعتبر أمثال سلمان الفارسي، وعمار بن ياسر، والاشتر و.. إلخ. من الفئة التي كانت تعارض الحكم القائم آنذاك وتنتقده، على اعتبار: أن هؤلاء، ونظائرهم، كانوا يرون: أن الخلافة بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، هي من حق علي أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام؛ استناداً إلى كثير من المواقف، والاقوال، والنصوص، التي رأوها وسمعوها من النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» ويرون أيضاً أن الآخرين قد تعدوا وظلموا علياً «عليه السلام» في هذا الأمر، واستأثروا به دونه..

بل إن المعتزلي الحنفي يروي لنا: عن البراء بن عازب: أنه حين بويع أبو بكر رآه - البراء - أقبل ومعه عمر، وأبو عبيدة، وجماعة؛ لا يرون أحداً إلا خبطوه، وقدموه؛ فمدوا يده؛ فمسحوها على يد أبي بكر، يبايعه، شاء ذلك أم أبى.

قال البراء: «فأنكرت عقلي، وخرجت أشدد، حتى انتهيت إلى بني هاشم، والباب مغلق.. إلى أن قال: فمكثت أكابد ما في نفسي،

ورأيت في الليل: المقداد، وسلمان، وأبا ذر، وعبادة بن الصامت، وأبا
الهيثم بن التيهان، وحذيفة،^(١) وعماراً، وهم يريدون أن يعيدوا الأمر
شورى بين المهاجرين» .

إلى غير ذلك من نصوص أخرى توضح معارضة هؤلاء
لانحراف الأمر عن علي «عليه السلام»، فليراجعها من أراد.

السؤال الصريح:

وهنا يرد سؤال، لابد من الإجابة عليه، وهو:

أنا نرى هؤلاء وسواهم، ممن هم على رأيهم، في مواقع قيادية^(٢)
في هيكلية نفس هذا الحكم الذي يعارضونه، ولا يرون مشروعية ،
فهذا يلي الكوفة، كعمار، وذاك يلي المدائن، كسلمان، وذلك كالأشتر
وحذيفة يتولى قيادة الجيوش، أو يشارك في الحروب.. وهكذا..

مع أن المعروف والمتوقع من الفئة المعارضة، هو أن تقاطع
الحكم، وترفض المشاركة فيه.. كما أن الفئة الموالية هي التي تستأثر
بالمراكز، ولا تسمح للخصوم بالمشاركة والوصول إليها ما وجدت
إلى ذلك سبيلاً.. فما هو السر في مشاركة هؤلاء؟، وما هو السر في

(١) شرح نهج البلاغة، للمعتزلي الحنفي ج ١ ص ٢١٩ و ٢٢٠ و ج ٢ ص ٥١ و

(٢) استدلل بذلك المعتزلي الحنفي في شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ٣٩ واستنتج:

أن هؤلاء لم يكونوا من المعارضة، والا لما شاركوا في السلطة.

قبول أولئك؟

إجابة واضحة:

ونحن في مقام الاجابة على ذلك نشير إلى النقاط التالية:

أ: إن هؤلاء الاشخاص، وهو النخبة الخيرة، والطلبة الواعية، من صحابة الرسول الاكرم «صلى الله عليه وآله»، وعلى رأسهم سيدهم، وأميرهم، وقائدهم علي «عليه السلام».. قد رباهم الإسلام، وذابوا وانصهروا في تعاليمه، ولم يكن يهمهم إلا رضا الله سبحانه، وظهور الدين، وفلج الحق، ولا يغضبون إلا الله تعالى، ولا يرضون إلا لرضاه، مهما كان ذلك صعباً، ومرأً بالنسبة إليهم..

وإذا كان علي امير المؤمنين «عليه السلام» على استعداد لتحمل الهجوم عليه في بيته، وضرب زوجته، وهي بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله»، واسقاط جنينها، واستصفاء أموالها - بل لقد روي أن عثمان قد ضرب علياً نفسه مباشرة (١) - إلى غير ذلك مما واجهه «عليه السلام»، من الالهانات الكثيرة، والرزايا الخطيرة، مما هو معروف، ومشهور ومسطور.

إذا كان علي «عليه السلام» على استعداد لتحمل ذلك.. فانه هو نفسه ذلك الذي يشهر سيفه بعد خمس وعشرين سنة من تحمل الظلم،

(١) الموفقيات ص ٦١٢ القسم الضائع من الموفقيات. وشرح النهج للمعتزلي

ويخوض الحروب الطاحنة، التي تستأصل عشرات الألوف من الناس.

ما ذلك إلا لانه رأى في السكوت أولاً رضا الله سبحانه؛ فيرضى به؛ يقول: لاسلمنّ ما سلمت أمور المسلمين، ويرى في الحرب أخيراً عملاً بالتكليف الشرعي، فلا يتوانى فيه؛ ولا يتردد..

وكذلك الحال بالنسبة لهؤلاء الصفوة الاخيار من اصحابه «عليه السلام»، فانهم لا يقدمون إلا على ما يرون فيه رضا الله سبحانه، وظهور دينه، وصلاح عباده..

ب: وبعد.. فان علياً عليه الصلاة والسلام، وأصحابه الاكارم رضوان الله تعالى عليهم يرون: أن الإسلام يرفض السلبية، من أجل السلبية نفسها؛ فانها تعني العجز، والانهازامية، والهروب من مواجهة الواقع، وتحمل مسؤولياته، لان هذه سلبية مضرّة وهدامة، وممقوتة.

كما أن هؤلاء الصفوة لا يرون في الحكم مكسباً شخصياً، ولا مطلباً فردياً، لابد من التضحية بكل شيء من أجله، وفي سبيله، وإنما يرون فيه مسؤولية، وفرصة لتحقيق رضا الله سبحانه بخدمة عباده، ورعايتهم وهدايتهم.

ويرون كذلك: أن الايجابية هي أساس الحياة، ورائد العمل، وطريق النجاة.. وحتى حينما يتخذون بعض المواقف، التي تكون سلبية بظاهرها، فانما تكون سلبية من موقع المسؤولية، يراد لها: أن تتمخض عن ايجابية بناءة وخيرة، تعود بالخير وبالبركات، حينما

يقصد منها: أن تكون اسلوباً لتذليل الصعوبات، وازالة الموانع من طريق العمل والعاملين.

ولاجل ذلك نجد أمير المؤمنين «عليه السلام»، الذي ذاق الأمرين، من غضب حقه، والهجوم على بيته، ومنع زوجته إرثها ونحلتها من أبيها.. إلى كثير من الاهانات والموبقات الكثيرة التي ارتكبت في حقه صلوات الله وسلامه عليه، من قبل الذين بيدهم ازمة الامور بالفعل، الامر الذي يجعل الجميع يتوقعون منه السلبية المطلقة في تعامله مع هؤلاء الذين غضبوه حقه، وصغروا عظيم منزلته على حد تعبيره.

نعم.. إننا نجده «عليه السلام» يخالف كل التوقعات، ويتجاوز جميع التصورات، فهو يهتم بإقامة علاقات مع نفس هؤلاء الغاصبين، تكاد تكون طبيعية، ويشارك في كثير من الامور بمستوى معين، ويقدم لهم النصح، ويعطي رأي الإسلام الاصيل في كل كبيرة وصغيرة، كلما أمكنته الفرصة، ووجد إلى ذلك سبيلاً، ولا يألوا جهداً في تقديم العون لهم في كل ما فيه نصرة للدين، وخير ومصلحة المسلمين.. ولعلمهم كانوا غير راغبين كثيراً بالاستجابة لمبادراته هذه..

ثم هو يعطي الضابطة لمسلكيته هذه، حين يقول:

«.. فوالله، لاسلمنّ ما سلمت امور المسلمين، ولم يكن فيها جور إلا علي خاصة، التماساً لاجر ذلك وفضله، وزهداً فيما تنافستموه من

(١)

زخرفه وزبرجه» .

ولكن هذه المعونة وتلك المشاركة.. قد رافقها الحفاظ على اصالة خطه الرسالي، ومواصلة اظهار المظلومية، والشكوى من انحرافهم عن الجادة، ومخالفتهم للنبي الاكرم «صلى الله عليه وآله».. نعم.. وهذه هي المشاركة البناءة، والتي هي في خط الرسالة وخدمة لها.

وأما حين تكون المشاركة إمضاءً لممارسات الحكم اللامشروعة، وسبباً، أو فقل: عاملاً مساعداً في تركيز الانحراف، وفي زيادة البعد عن الخط الإسلامي الاصيل.. وحيث يصبح الإنسان أداة بيد الحكم، يستفيد منها لتكريس انحرافاته، وتبرير أخطائه، أو يتخذ منه واجهة تختفي وراءها شتى أنواع الفساد والظلم، والهرطقة، واللا دينية.. فان هذه المشاركة تصبح خيانة للامة، وللدين، ولانسانية الإنسان، مهما كان ذلك الرجل شريفاً، ونبيلاً في نفسه، ومستقيم الطريقة في سلوكه الشخصي، وفي ملكاته النفسية الخاصة..

ولاجل ذلك نجد الائمة «عليهم السلام»، ليس فقط لا يشاركون في الحكم الاموي والعباسي، ولا يمدون لهما يد العون.. وإنما يعتبرون أدنى عون، أو تأييد له، حتى ولو بمثل أن يؤجر الرجل جماله للحاكم؛ ليحج عليها، الامر الذي يستلزم أن يجب بقاء ذلك

(١) نهج البلاغة بشرح عبده ج ١ ص ١٢٠ و ١٢١، الخطبة رقم ٧١.

(١)

الحاكم الظالم حياً، إلى حين انتهاء مدة الاجارة^(١) يعتبرون حتى هذا القدر، من الذنوب الكبيرة، والجرائم الخطيرة، التي لا يمكن التساهل فيها، أو الاغضاء عنها..

ج: وأما في صدر الإسلام، حيث دور التأسيس، وتركيز وتعميق القيم والمفاهيم الإسلامية، والاساسية، وحيث كان لابد من تأصيل الاصول، ونشأة العقائد وتكونها، الأمر الذي يستدعي طرح وتركيز العقائد الصحيحة، ورعايتها، والحفاظ عليها، وطرد كل ما هو دخيل، وغريب.. فان أي انحراف، أو تساهل، لسوف يترك أثره على اصل الإسلام وأساسه، ومفاهيمه ومبانيه، ولسوف لا يختص ذلك بجيل دون جيل، ولا بامة دون اخرى، بل ستبقى تلك الآثار على مر الدهور، وفي جميع العصور. وذلك يؤكد ضرورة وجود شخصية قوية وفاعلة، واضحة الاتجاه، سليمة الخط، لا تذوب في الآخرين، ولا تنفذ ارادات الحكم بصورة عمياء، بل تزن كل شيء بميزان الحق والشرع، وعلى أساس ذلك يكون الرفض أو القبول..

ثم يسجل التاريخ ذلك، إلى أن يأتي اليوم الذي تعي فيه الامة أحداث الماضي، وتصبح قادرة على وضع الامور في نصابها، وتجد

(١) اختيار معرفة الرجال، المعروف برجال الكشي ص ٤٤١ وقاموس الرجال

الدوافع، وتتهياً الظروف للتعرف على الإسلام الحقيقي، ولو بصورة تدريجية، كما حصل ذلك، ولا يزال يحصل بالفعل..

د: ولا يتأتى القيام بهذه المهمة، إلا بشيء من المرونة والايجابية، ضمن حدود، وبالمقدار الذي لا تضيق معه معالم الخط السياسي الاصيل، ولا تذوب فيه هذه الفئة الصالحة، ولا تستهلك أفكارها ورؤيتها في خضم التيار، وإنما تطرح نفسها، وافكارها، وطروحاتها الواقعية، التي تختزل التيار، وتحتويه؛ ليكون تياراً واعياً ومسؤولاً، ولو على المدى البعيد، بعد حين..

وإذا كانت سياسة الحكم والحكومات، قد كانت تتجه إلى إيجاد بدائل لأهل البيت، ولصحابتهم الاخير، الذين كانوا علماء الامة، واكابر أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، والذين كان لاقوال النبي «صلى الله عليه وآله» فيهم، وفي بيان فضلهم، وعلمهم، وتقواهم، أثر كبير في توجيه الناس نحو الأخذ والاستفادة منهم، واتخاذهم قدوة واسوة، فان السلطة، والقرشيين بالذات، قد عملت على أن ينسى الناس أهل البيت، وكل الاخير، من أصحابهم، وأصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله».. ليحل محلهم آخرون، ينسجمون مع طروحات الحكم وطموحاته.. فكان أن مجدوا هؤلاء البدائل وعظموهم وأطروهم، بما لا مزيد عليه، حتى ليخيل للناظر: أن هؤلاء، وهؤلاء فقط، هم شخصيات الإسلام، ورجالاته، وعظماء الامة وروادها.

مهما كانوا - في واقع الأمر - منحرفين عن الإسلام وجاهلين بأحكامه، وبعيدين عن مفاهيمه وتعاليمه..

حتى لقد نسي الناس أهل البيت، وخبث نارهم، وانقطع صوتهم وصيتهم، وقد أشار أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى هذه الحقيقة، وهو يتحدث عن الفتوحات، التي لولا مشاركة الاخيار من الصحابة فيها، لكانت وبالاً على الدين، وشرّاً على المسلمين. ولكن مشاركة هؤلاء قد هيأت الفرصة لتعرف الكثيرين من غير العرب على تعاليم الإسلام، بل لم تمض بضعة عقود من الزمن حتى أصبح علماء وفقهاء الإسلام، ومفكروه من نفس هؤلاء الذين كان الحكم يريد أن يستعبدهم، ويتخذهم خولاً واموالهم دولاً كما سنرى..

نعم لقد اشار أمير المؤمنين إلى هذه الحقيقة، وهو يتحدث عن هذه الفتوحات؛ فقال: «فتأكد عند الناس نباهة قوم، وخمول آخرين، فكنا نحن ممن حمل ذكره، وخبث نارهم، وانقطع صوته وصيته، حتى أكل الدهر علينا وشرب، ومضت السنون والاحقاب بما فيها، ومات كثير ممن يعرف، ونشأ كثير ممن لا يعرف» .

ويكفي أن نشير هنا: إلى مكانة وموقع الامامين الحسن والحسين «عليهما السلام» في الامة، هي من الامور الواضحة، التي لا يكاد يجهلها أحد، وكانت الامة قد سمعت ورأت الكثير من أقوال ومواقف

(١) شرح النهج للمعتزلي ج ٢٠ ص ٢٩٩.

النبيّ «صلى الله عليه وآله» تجاههما.. ورغم أنهما قد عاشا بعد النبيّ الاكرم «صلى الله عليه وآله» حوالي أربعين إلى خمسين سنة أو أكثر، فاننا لا نجد فيما بأيدينا من نصوص إلا ما ندر وشذ: أنهما قد سئلا، أو نقل عنهما شيء من امور الفقه، والمعارف الإسلامية.. رغم أنهما كانا يعيشان مع الناس، ويتعاملان معهم، وكانت الامة تعرف موقعهما ومكانتهما وحقهما.

هذا مع أن الجهل بالإسلام وبتعاليمه قد بلغ حداً جعل أمير المؤمنين «عليه السلام» يعتبر: أنه لم يبق من الإسلام إلا اسمه، ومن الدين إلا رسمه.

كما أن البعض قد أوضح أنه لم يبق من الدين إلا الاذان بالصلاة، إلى غير ذلك من نصوص ذكرنا شطراً منها في كتابنا: الصحيح من سيرة النبيّ «صلى الله عليه وآله» - في تمهيد الكتاب -.

وخلاصة الامر: إن سياسة الحكام وقريش بالذات كانت هي ابعاد أهل البيت «عليهم السلام» والاخبار من صحابة النبيّ «صلى الله عليه وآله» عن الساحة، وايجاد بدائل عنهم في مختلف المجالات.

وقد كانت مصلحة الإسلام تقضي بمقاومة هذه السياسة وافشالها، ولا أقل من ابقاء صوت أهل البيت، والخلص من رجالات الإسلام، الذي هو صوت الدين والحق والخير، بحيث يسمعه الناس البسطاء، الذين يسعدهم أن يسمعوا شيئاً عن نبيهم، ويعرفوا ما جاء به، إذ لماذا يسمعون فقط من صنائع الحكم ومن أصحاب الاهواء والمآرب

السياسية وغيرها، من امثال سمرة بن جندب، وعمرو بن العاص، وكعب الاحبار، وابن سلام، وأبي هريرة، والوليد بن عقبة وغيرهم؟! نعم.. لماذا يسمعون فقط من هؤلاء ويتركز في أذهانهم مفهوم خاطيء، وهو أن هؤلاء يمثلون النموذج الحي لتربية الإسلام وهم المصدر لمعارفه وتعاليمه؟!

ولماذا لا يتعرفون على عمار بن ياسر، وعلى سلمان، وغيرهما من أختيار الصحابة، وابرار الامة وعلماء الإسلام الحقيقيين؟! وليرجع الناس إلى فطرتهم، وإلى عقولهم، فانهم لسوف يكونون قادرين - ولو بعد حين - على التمييز، والتعرف، ثم اختيار العلماء الحقيقيين، والاخيار، والابتعاد عن المزيفين، أصحاب الاهواء، ووعاظ السلاطين، الذين هم صنائع الحكم والحاكمين.

وأما بعد أن تأسس أساس الإسلام، واتضحت معالمه، وظهرت شرائعه واحكامه كما هو الحال في زمن الامويين والعباسيين، فان المشاركة في الحكم لا تعني إلا الاعانة على الظلم والانحراف، وتبرير جرائم الحكم والحكام، والموبقات التي يرتكبونها.. وليكون هؤلاء الواجهة التي تختفي وراءها كل المفاسد، والمعول الذي يهدم به اساس الإسلام، وإن.. فلا تجوز المشاركة، ولا مد يد العون لهم، ولو بمثل أن يكري الرجل جملة للحاكم ليحج عليه.. اللهم إلا أن يكون في موقع حساس يسمح له بأن يقوم بخدمة كبرى للإسلام وللمسلمين، كأن يمنع من استئصال شأفة المؤمنين، ويحفظ لهم ولو الحد الأدنى

من وجودهم، إما مباشرة، أو بأن يكون في مركز يخوله الاطلاع على خطط الحكم ومؤامراته، ليتمكن مواجهتها بالموقف المرن والمسؤول، ومن موقع الوعي والحدز..

هذا كله.. بالنسبة لمشاركة هؤلاء في الحكم.. وأما بالنسبة لاشراك الحكام لهؤلاء فيظهر: أنه كان لاهداف غير حميدة، ولعل المراد اسكاتهم، أو تلوينهم، أو اظهار مشروعية حكمهم.. إلى غير ذلك من اهداف، لسنا هنا بصدد تتبعها ولعل فيما ذكرنا - حول أهداف المأمون من تولية الامام الرضا «عليه السلام» العهد بعده - ما يفيد في هذا المجال.

بل لقد قال ابن شهر آشوب: «كان عمر وجه سلمان أميراً إلى المدائن، وانما أراد له الختلة، فلم يفعل إلا بعد أن استأذن أمير المؤمنين، فمضى فاقام بها إلى أن توفي، وكان يحطب في عباءة (١) يفترش نصفها.. إلخ» .

(١) الدرجات الرفيعة ص ٢١٥.

الباب الثاني

سياسات.. ونتائج..

الفصل الأول: في مواجهة التحدي

بداية:

التمييز العنصري معناه: أن يُعطى أحد امتيازاً على أساس العرق، أو اللون، أو ما إلى ذلك، ويحرم الآخرون، أو يظلمون على هذا الأساس أيضاً..

وهو من الامور القبيحة، التي ترفضها الفطرة، ويدينها العقل، ويأبأها، وينكرها الوجدان، حتى من قبل الكثيرين، من الذين يمارسونه عملاً، ويحاولون إعطاءه طابعاً تضليلياً، أو لوناً حضارياً خادعاً..

وليس التمييز العنصري هذا بالامر الجديد، والمستحدث، وإنما هو قديم، قديم، حتى لقد اعطي صفة القداسة، والبس لباس الشرعية، حينما اعتبره اليهود، أحد تعاليمهم الدينية الاساسية، التي يتعاملون مع الآخرين على أساسها..

الإسلام يرفض سياسة التمييز العنصري:

إن من الواضح: أن رأي الإسلام الواقعي هو أنه ليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى، كما قرره نبي الإسلام «صلى الله عليه

(١)

. وآله» في حجة الوداع .

كما أنه «صلى الله عليه وآله» قد اعتبر أن كل: من ولد في الإسلام فهو عربي، ومن دخل في الإسلام طوعاً فهو مهاجري (٣) ورويت الفقرة الأولى التي تشير (٣) إلى معيار العروبة للانسان عن الامام الباقر عليه الصلاة والسلام .

وعن أبي هريرة، رفعه، قال: «من تكلم بالعربية فهو عربي (٤) ومن أدرك له أبوان (أو اثنان) في الإسلام، فهو عربي .

وعنه «صلى الله عليه وآله»، أنه صعد المنبر يوم فتح مكة، وقال: «أيها الناس، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية، وتفآخرها بآبائها. الا إنكم من آدم، وآدم من طين. الا إن خيار عباد الله عبد اتقاه، إن العربية ليست بأب والد، ولكنها لسان ناطق، فمن قصر به عمله، لم يبلغه حسبه.. إلخ..» .

(١) العقد الفريد ج ٣ ص ٤٠٤ و ٤٠٨ وتاريخ اليعقوبي ط النجف ج ٢ ص ٩١ ومجمع الزوائد ج ٣ ص ٣٦٦ و ٢٧٢ وزاد المعاد ج ٢ ص ٢٢٦ والغدير ج ٦ ص ١٨٨ والبيان والتبيين ج ٢ ص ٣٣.

(٢) راجع: الجعفریات ص ١٨٥ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٣ ص ٢٠٧ عنه ومستدرک وسائل الشيعة ج ٢ ص ٢٦٨ عن روضة الكافي.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ص ١٦٨.

(٤) المصدر السابق.

(٥) الكافي ج ٨ ص ٢٤٦ والبحار ج ٢١ ص ١٣٧ و ١٣٨.

وسياتي في جواب رسول الله «صلى الله عليه وآله» لقيس بن مطاطية قوله: من تكلم بالعربية فهو عربي..

وعن أنسب بن مالك، قال: «كان لرسول الله «صلى الله عليه وآله» موليان: حبشي، وقبطي؛ فاستبَّ يوماً؛ فقال أحدهما: يا حبشي.

وقال الآخر: يا قبطي.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: لا تقولوا هكذا.. إنما أنتما رجлан من آل محمد «صلى الله عليه وآله» .

وبعد.. فقد قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) .

وقد علمنا: أن رسول الله قد قال عن سلمان الفارسي: سلمان منا أهل البيت.

ثم إنه قد ورد النهي للصحابة عن أن يقولوا: سلمان الفارسي، ولكن قولوا سلمان المحمدي..

إلى غير ذلك من نصوص ومواقف معبرة وصريحة في هذا الامر، ولا مجال لتأويلها، ولا للتلاعب فيها.. وهي كثيرة جداً لا طاقة لنا بجمعها وإحصائها في عجلة كهذه.

(١) المعجم الصغير ج ١ ص ٢٠٧.

(٢) الآية ١٣ من سورة الحجرات.

التمييز العنصري بين الجبر والاختيار:

وإذا كان معنى التمييز العنصري هو: أن يجعل العرق، أو اللون، أو الطبقة، أو نحوها أساساً للتمييز والتفاضل بين البشر، فبملاحظته يستحق هذا امتيازاً؛ فيعطى له، ولا يستحقه ذاك، فيحرم منه - إذا كان كذلك -.

فإن من الواضح.. أن هذه أمر يأباه العقل، وترفضه الفطرة، ويدينه الوجدان، لأن الإنسان أعلى من كل شيء في الوجود، لان كل شيء مخلوق من أجله ومسخر له، فلا يصح أن نضحي بإنسانية الإنسان وبكرامته من أجل أي شيء آخر مهما غلا فكيف إذا كان تافهاً وحقيراً، من قبيل اللون، والعرق، والجغرافيا، وما إلى ذلك..

أضف إلى ذلك: أن اللون، أو العرق، ليسا من الامور الاختيارية، التي تساهم إرادة الإنسان في صنعها، وإيجادها. كي تدفعه في حركته الدائبة نحو الحصول على خصائصه، وكمالاته الإنسانية، وباتجاه هدفه الاسمي، الذي وجد من أجله..

كما أنهما لا يحلان للإنسان أية مشكلة، ولا دور لهما في تغلبه على المصاعب والمتاعب، ولا في ازالة العوائق، التي تعترض طريق تقدمه، نحو هدفه المنشود..

وكذلك فانهما لا يساهمان في سعادة الإنسان بالحياة، فلا يجعلانه يلتذ بها، ويأنس، أو يتعب من أجلها ويضحي، أو يأمل بها ويطمح.. وما إلى ذلك..

ومن هنا.. فقد كان من الطبيعي أن يرفض الإسلام اعطاء الامتيازات، وتفضيل الناس، بعضهم على بعض على اساس العرق أو اللون، أو غير ذلك مما لا خيار فيه للانسان، ولا هو خاضع لارادته.

ولكنه جعل التفاضل بين الناس في أمر يمكن أن يكون له دور رئيس في تكاملهم، وفي تحقيق سعادتهم، ويؤثر في حركتهم الدائبة نحو هدفهم الاسمي.. وهو في نفس الوقت أمر اختياري للانسان، يمكنه، أن يحصل عليه، ويمكنه أن لا يحصل عليه.. ألا وهو التقوى، والعمل الصالح، والسجايا الفاضلة، والعلم النافع المعطاء؛ فقال تعالى: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) (١).

وقال: (هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) (٢).

وقال تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ) (٣).

قال: (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ) (٤).

(١) الآية ١٣ من سورة الحجرات.

(٢) الآية ٩ من سورة الزمر.

(٣) الآية ٢٤ من سورة إبراهيم.

(٤) الآية ٢٦ من سورة إبراهيم.

وقال تعالى: (لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِّ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) .

وقال: (قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ) .

إلى غير ذلك من آيات كثيرة، لا مجال لا يراها هنا..

وعن رسول الله «صلى الله عليه وآله»: لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أسود على أحمر، ولا أحمر على أسود إلا بالتقوى .

وإذا كان كل ما تقدم هو المنطلق للتفاضل، والحصول على الامتيازات والاوزمة؛ فإن من شأنه: أن يقود الإنسان نحو الكمال، ويجعل التسابق باتجاه كل ما هو خير، وصلاح، وفلاح: (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ) (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض) (ومنهم سابق بالخيرات) .

(١) الآية ٩٥ من سورة النساء.

(٢) الآية ١٠٠ من سورة المائدة.

(٣) مجمع الزوائد ج ٣ ص ٢٦٦ و ٢٧٢ والبيان والتبيين ج ٢ ص ٣٣ والعقد الفريد ج ٣ ص ٤٠٨ والغدير ج ٦ ص ١٨٧ و ١٨٨ عن عدد من المصادر.

(٤) الآية ١٤٨ من سورة البقرة.

(٥) الآية ١٣٣ من سورة آل عمران.

(٦) الآية ٣٢ من سورة فاطر.

نعم.. وهذه هي الحركة الطبيعية، التي تنسجم مع فطرة الإنسان السليمة والصالفة، ومع طموحاته الواقعية، وأمانيه الواسعة، وآماله العراض..

سلبيات ظاهرة:

وبعد.. فان من أبسط نتائج سياسات التمييز على أساس: الطبقة، والدم واللون، والعرق، واللغة، والبلد، و.. إلخ.. هو ظهور نزعات الكراهية بين الناس، وسحق كراماتهم بلا مبرر معقول، وتضييع حقوقهم الإنسانية، دونما سبب، ومعاملتهم بطريقة شاذة، لا يقرها شرع، ولا عقل، ولا ضمير..

وبدلاً من أن يكون المؤمنون إخوة، يتعاونون على الخير، وتسودهم روح المحبة، والمودة والوئام، ويشد بعضهم أزر بعض في مجال التغلب على مصاعب الحياة، وتجنب شوائدها، ويكون كل منهم مكماً للآخر، ومن اسباب قوته، وعزه، وسعادته..

نعم.. بدلاً من ذلك.. يصبحون أعداء متدابرين، يعمل كل منهم على هدم الآخرين، واستغلال طاقاتهم، وامكاناتهم، والاستئثار بها، وتقويض سعادتهم، وتبديد قدراتهم. تسودهم روح الضغينة والحقد، بأسهم بينهم شديد، ومخيف.

ويصبح اللون، والعرق، واللغة، والطبقة و.. إلخ وسيلة تستخدم في سبيل تجزئة الناس وتمزيقهم، بدلاً من جمعهم وتوحيدهم، وذلك بالتركيز على الفوارق والمميزات التافهة، والعقيمة، وتجاهل موارد

الاشتراك، والوفاق، وهي الاجدر والاجدى، والاحق بالاهتمام والعناية، لانها الاسمى، والانفع، والاصح، والاكثر أصالة، والابعد أثراً في تكامل الإنسان وسموه، وتذليل كل العقبات، التي تعترض طريقه في حياته..

سلمان في مواجهة التمييز العنصري أيضاً:

١ - «أسند الامام مالك، عن الزهري، عن أبي سلمة بن عبدالرحمان، قال: جاء قيس بن مطاطية إلى حلقة فيها سلمان الفارسي، وصهيب الرومي، وبلال الحبشي، فقال: هذا الاوس والخزرج قد قاموا بنصرة هذ الرجل، فما بال هذا؟

فقام إليه معاذ بن جبل، فأخذ تليبيه، ثم أتى به النبيّ «صلى الله عليه وآله»، فأخبره بمقالته.

فقال النبيّ «صلى الله عليه وآله» قائماً.. يجر رداءه، حتى أتى المسجد، ثم نودي: إن الصلاة جامعة [فحمد الله، وأثنى عليه].

وقال: يا أيها الناس، ان الرب واحد، والأب واحد، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم، وانما هي اللسان، فمن تكلم بالعربية؛ فهو عربي.. الخ» ..

(١) تهذيب تاريخ دمشق ج٦ ص٢٠٠ وحياة الصحابة ج٢ ص٥٢٣ عن كنز العمال ج٧ ص٤٦ والمنار ج١١ ص٢٥٨ - ٢٥٩ واقتضاء الصراط المستقيم ص١٦٩ عن السلفي.

٢ - وأخرج أيضاً عن أبي هريرة، أنه قال: تخطى سلمان الفارسي حلقة قريش، وهم عند رسول الله «صلى الله عليه وآله» في مجلسه؛ فالتفت إليه رجل منهم فقال: ما حسبك؟ وما نسبك؟ وبم اجترأت أن تتخطى حلقة قريش.

قال: فنظر اليه سلمان؛ فأرسل عينيه؛ وبكى، وقال: سألتني عن حسبي، ونسبي، خلقت من نطفة قدرة، أما اليوم ففكرة وعبره، وغداً جيفة منتنة، فاذا انشرت الدواوين، ونصبت الموازين، ودعي الناس لفصل القضاء؛ فوضعت في الميزان، فان أرجح، فأنا شريف كريم، وان انقص الميزان؛ فانا اللئيم الذليل، فهذا حسبي، وحسب الجميع، فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: صدق سلمان، من اراد أن ينظر إلى رجل نور قلبه، فلينظر إلى سلمان .

ويلاحظ هنا: أن هذه القضية تشبه كثيراً، ما سيأتي في سبب قوله «صلى الله عليه وآله»: سلمان مئاً أهل البيت، لكن هذه العبارة لم تذكر فيها.. والمناسب ذكرها، فان من الطبيعي أن يغضب النبي «صلى الله عليه وآله» من كلام ذلك القرشي الجافي، وينتصر لسلمان بأكثر من هذه الكلمة الهيينة اللينة، المذكورة في آخر الرواية..

٣ - «وأخرج أيضاً من طريق البيهقي، وعبدالرزاق، عن قتادة،

(١) تهذيب تاريخ دمشق ج ٦ ص ٢٠٠ وراجع البحار ج ٢٢ ص ٣٥٥ عن أمالي

قال:

كان بين سعد بن أبي وقاص وسلمان شيء؛ فقال سعد، وهم في مجلس: انتسب يا فلان، فانتسب، ثم قال: للآخر: أنتسب. فانتسب.. حتى بلغ سلمان.

فقال: انتسب يا سلمان.

فقال: ما أعرف لي أبا إلا الإسلام، ولكن سلمان بن الإسلام، ففني ذلك إلى عمر.

فقال عمر لسعد: انتسب.

فقال: انشدك الله يا أمير المؤمنين، وكأنه عرف. فأبى أن يدعه حتى انتسب، ثم قال للآخر، حتى بلغ سلمان، فقال: انتسب، فقال: انعم الله علي بالإسلام؛ فأنا ابن الإسلام.

فقال عمر: قد علمت قريش: أن الخطاب كان أعزهم في الجاهلية، وأنا عمر بن الإسلام، أخو سلمان بن الإسلام أما والله، لولاه لعاقبتك عقوبة يسمع بها أهل الامصار.. إلخ» .

٤ - وثمة نص يفيد: ان سلمان المحمدي قد تعرض لمحاولة

تحقير وامتهان من

قبل البعض، فانتصر النبيّ «صلى الله عليه وآله» له، وأدان المنطق الجاهلي والتعصب القبلي بصورة صريحة.. تقول الرواية:

(١) تهذيب تاريخ دمشق ج ٦ ص ٢٠٥ والمصنف ج ١ ص ٤٣٨.

«إن سلمان الفارسي - رضي الله عنه - دخل مجلس رسول الله «صلى الله عليه وآله» ذات يوم؛ فعظموه، وقدموه، وصدروه؛ اجلالاً لحقه، واعظاماً لشيئته، واختصاصه بالمصطفى وآله.. فدخل عمر: فنظر إليه فقال: من هذا العجمي المتصدر فيما بين العرب؟!»

فصعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» المنبر؛ فخطب، فقال: إن الناس من عهد آدم إلى يومنا هذا مثل أسنان المشط، لا فضل للعربي على العجمي، ولا للأحمر على الأسود إلا بالتقوى. سلمان بحر لا ينزل، وكنز لا ينفذ، سلمان منّا أهل البيت.. إلخ.

وقفات:

الاولى: سلمان منّا أهل البيت:

لعل هذه الرواية الأخيرة ليست بعيدة عن الحقيقة؛ فان عمر بن الخطاب كان يجهر بتفضيل العرب على العجم، وكانت سياسته في خلافته تسير في هذا الاتجاه، وستأتي قصة امتناعه من تزويج سلمان، وسنشير إلى نبذة من سياساته تجاه غير العرب في فصل مستقل، إن شاء الله تعالى.

ولاجل ذلك، فنحن نستبعد الرواية التي تذكر أن السبب في

(١) الاختصاص ص ٣٤١ ونفس الرحمان في فضائل سلمان ص ٢٩ والبحار

اطلاق كلمته «صلى الله عليه وآله» الشهيرة: سلمان من أهل البيت.
 أنه حين اشتغال المسلمين بحفر الخندق، وكان النبي «صلى الله
 عليه وآله» قد قطع لكل عشرة أربعين ذراعاً، يعملون فيها، وكان
 سلمان قوياً في عمله، احتج المهاجرون والانصار.

فقال المهاجرون: سلمان منّا.

وقال الانصار: سلمان منّا.

(١)
 فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: سلمان منّا أهل البيت .
 ورواية أخرى تقول:

إنه حين حفر الخندق، وكان المسلمون ينشدون سوى سلمان،
 رأى النبي «صلى الله عليه وآله» ذلك؛ فدعا الله: أن يطلق لسان
 سلمان، ولو ببنتين من الشعر، فأنشأ سلمان ثلاثة أبيات:

أسال ربي قوة ونصراً	ما لي لسان فأقول شعراً
محمد المختار حاز الفخراً	على عدوي وعدو الطهراً
مع كل حوراء تحاكي البدرأ	حتى أنال في الجنان قصرأ

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج ٤ قسم ١ ص ٥٩، وراجع: أسد
 الغابة ج ٢ ص ٣٣١ وذكر أخبار أصبهان ج ١ ص ٥٤ وتهذيب تاريخ
 دمشق ج ٦ ص ٢٠٠ ونفس الرحمان ص ٣٤ و ٣٥ عن مجمع البيان في
 تفسير قوله تعالى: {اللهم مالك الملك، تؤتي الملك من تشاء}. وعن السيرة
 الحلبية، ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ٥٩٨.

فضج المسلمون، وجعل كل قبيلة يقول: سلمان منّا.
 فقال النبيّ «صلى الله عليه وآله»: سلمان منّا أهل البيت (١).

نعم.. إننا لنستبعد ذلك، ونميل إلى صحة الرواية المتقدمة حول موقف عمر بن سلمان.. وذلك بسبب النهج الذي عرفناه عن الخليفة الثاني، في معاملته لغير العرب، والروح العدائية التي كانت تملي عليه مواقف سلبية وقاسية ضدهم، كما سيتضح في فصل مستقل يأتي إن شاء الله تعالى..

هذا بالإضافة إلى أن هذا الذي ذكره في سبب اطلاق النبيّ «صلى الله عليه وآله» كلمته الخالدة، لا يعدو عن أن يكون أمراً عادياً، بل وتافهاً، لا يبرر هذا الموقف منه «صلى الله عليه وآله».

ولعل الهدف من ايراد امور كهذه هو التقليل من قيمة هذا الوسام العظيم، الذي شرفه «صلى الله عليه وآله» به..

إذ أن ذلك لا يعدو عن أن يكون قضية الاستفادة من قوة سلمان البدنية، في حفر الخندق، هي محل تنافس الفرقاء، وما كان من النبيّ «صلى الله عليه وآله» إلا أن بادر إلى حسم النزاع، بأسلوب تحويل سلمان إلى القسم الذي كان «صلى الله عليه وآله» يعمل هو وأهل بيته

(١) راجع: المناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ٨٥ وقاموس الرجال ج ٤ ص ٤٢٤ عنه والدرجات الرفيعة ص ٢١٨ ونفس الرحمان ص ٤٣. ويلاحظ ما في الأبيات من الهنات..

فيه؛ فكانت تلك الكلمة إيذاناً بذلك..

ولاجل ذلك؛ فان هذه الكلمة تفقد قيمتها، وأهميتها، وواقعيتها.. ولا يبقى مبرر لما نلاحظه في كلمات أئمة أهل البيت «عليهم السلام» من التركيز على هذا الوسام العظيم، وتأكيد واقعيته ومصداقيته فيه رضوان الله تعالى عليه..

ونفس هذ الكلام تقريباً يأتي فيمايقال عن تنازعهم في سلمان، حينما قال الشعر، على النحو الذي ذكرناه فيما سبق.

لان اطلاق هذه الكلمة منه «صلى الله عليه وآله» في مناسبة كهذه، تجعل سلمان جزءاً من فئة تحسن التكلم باللغة العربية، وتحب أن تكرمه، لانه نطق بلغتها، لا لاجل علمه، أو دينه، ولا لغير ذلك من صفات الخير والصلاح فيه..

حنبلي يثبت العصمة لسلمان !!:

قال محيي الدين ابن العربي الحنبلي:

«.. فلا يضاف إليهم إلا مطهر، ولا بدّ أن يكون كذلك، فان المضاف إليهم هو الذي يشبههم؛ فلا يضيفون لانفسهم إلا من حكم له بالطهارة والتقديس.

فهذه شهادة من النبيّ «صلى الله عليه وآله» لسلمان الفارسي بالطهارة، والحفظ الالهي، والعصمة؛ حيث قال فيه رسول الله «صلى الله عليه وآله»: سلمان منّا أهل البيت.

ذلك أن قوله «صلى الله عليه وآله»: سلمان منا أهل البيت لم يجعله من أهل البيت حقيقة ونسباً؛ فإن الإتصال نسباً لا يكون إلا بأسبابه المقررة في محله، واذن.. هو منهم تنزيلاً: لتشابه الصفات، بعضها، أو كلها، تلك الصفات التي يمكن أن تجعله من الملهمين. وشهد الله لهم بالتطهير، وذهاب الرجس عنهم؛ فهم المطهرون، بل عين الطهارة. وهم المطهرون بالنص؛ فسلمان منهم بلا شك.. فكان من أعلم الناس بما لله على عباده من الحقوق، ولانفسهم، والخلق عليهم من الحقوق، وأقواهم على أدائها، وفيه قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»:

لو كان الإيمان بالثريا لنا له رجل من فارس، وأشار إلى سلمان..» .

الوقفه الثانية: دفاع عمر عن سلمان:

هذا.. وإذا عدنا إلى الرواية الثالثة المتقدمة، فنجدها قد ذكرت: أن عمر قد دافع عن سلمان في قبال سعد..

وهذا أمر يثير العجب من ناحيتين:

الاولى: أن عمر قد وصف أباه الخطاب بأنه: كان أعزهم في الجاهلية..

(١) سلمان الفارسي للسببتي ص ٤٠ ونفس الرحمان ص ٣٢ كلاهما عن: الفتوحات المكية.

مع أننا قلنا في الجزء الثاني من كتابنا: الصحيح من سيرة النبيّ الأعمم «صلى الله عليه وآله» ص ٥٨ / ٥٩ و ٩٦ - ١٠٠: أن هذا الكلام لا يصح، وأنهم كانوا أقل وأذلّ بيت في قريش..

بنو عدي في الجاهلية:

ويكفي أن نذكر هنا:

(١)

ألف: أنهم يقولون: إنه لم يكن في بني عدي سيد أصلاً .

ب: ان عمر بن الخطاب نفسه يعترف بذلك، ويقول: «كنا أذلّ قوم؛ فأعزنا الله بالإسلام» .

ج: وفي رسالة من معاوية إلى زياد بن أبيه، يذكر فيها أمر الخلافة، فيقول:

«.. ولكن الله عزّوجلّ أخرجها من بني هاشم، وصيرها إلى بني

(١) المنمق ص ١٤٦.

(٢) مستدرک الحاكم ج ١ ص ٦١ و ٦٢ وتلخيصه للذهبي بهامشه، وصححه على شرط الشيخين.

إلا أن يقال: إن مقصوده: هو أن العرب كانوا أذلّ أمه بين الامم المجاورة، ولكنه احتمال بعيد، فانه قد عنف أبا عبيدة، باعتبار أن غيره لو قال هذا - أي طلب منه أن لا يقوم بعمل فيه مهانة، لكان له وجه.. أما أن يقوله أبو عبيدة العارف بالحال والسوابق، فانه غير مقبول منه. راجع: نفس النص في مصدره.

تيم بن مرة، ثم خرجت إلي بني عدي بن كعب، وليس في قريش حيان
أذل منهما ولا أذل إلخ» .

د: وقال أبو سفيان حين فتح مكة؛ حين رأى عمر بن الخطاب،
وله زجل: «.. لقد أمر أمرُ بني عدي، بعد - والله - قلة، وذلة إلخ..»

«

هـ: وقال عوف بن عطية:

وأما الإلامان: بنو عدي
فلا تشهد بهم فتیان حرب
وتيم حين تزدهم الامور (٣)
ولكن أدن من حلب وعير (٤)

الثانية: إدانة سعد غير واقعية:

وبالنسبة إلى إدانة عمر لسعد، في محاولته تحقير سلمان؛ فلا
نراها تنسجم مع سائر مواقف عمر، وتوجهاته، وسياساته مع غير
العرب، وحتى مع سلمان بالذات، الذي لم يقبل عمر: أن يزوجه حينما
خطب إليه، بسبب أنه غير عربي.. وسنذكر نبذة من سياسات عمر
هذه في فصل مستقل إن شاء الله تعالى.

(١) كتاب سليم بن قيس ص ١٤٠.

(٢) مغازي الواقدي ج ٢ ص ٨٢١ وكنز العمال ج ٥ ص ٢٩٥ عن ابن عساکر،
عن الواقدي.

(٣) لعل الصحيح: مزدهم، بالميم؛ ليضاف إلى ما بعده، فيناسب البيت التالي.

(٤) طبقات الشعراء لابن سلام ص ٣٨.

ومن هنا نجد أنفسنا مضطرين إلى القول: إن تقرير عمر لابيه الخطاب قد جاء على سبيل الافتخار بأمر نسبي، فعل الخطاب أبا عمر كان أعز من سلف سعد مثلاً، أو لعله قد استفاد من هيبة الخلافة، وسلطان الحكم؛ فادعى ذلك؛ ليرضى سلمان وغيره، ممن لا يرتاحون لمنطق سعد، المخالف للإسلام.

مع اطمينانه بأن سلمان، الذي لم يكن قد عاش في المنطقة العربية، في زمن الجاهلية، وأوائل البعثة، كان لا يعرف حقيقة الامر في هذا المجال.. بالإضافة إلى علم الخليفة بعدم جرأة أحد على الرد عليه، وتقنيده مزاعمه.

وقد تكون هذه العبارة قد دسّت في الرواية، بهدف ابعاد الشبهة عن الخليفة في سائر مواقفه من سلمان بالذات، ومن غير العرب بصورة عامة.

والله هو العالم بحقيقة الحال، وإليه المرجع والمآل..

هذه الرواية وسياسات الخليفة:

ولكن المهم هو: أن هذه الرواية قد تبدوا منافية لما عرف وشاع، وذاع من مواقف للخليفة الثاني تجاه غير العرب، والتي كانت تقضي بحرمان غير العرب من كثير من الحقوق الإنسانية والإسلامية على حد سواء.

ولكننا نقول:

إن من الطبيعي: أن لا يقدم الخليفة في أوائل أمره على تطبيق سياساته تلك، ويتحاشى الجهر في ذلك، بانتظار استحكام أمره، وتثبيت حكمه. بل لم يكن ثمة داعٍ لإعلان تلك المواقف، وتطبيق هاتيك السياسات، ما دام أنه لا توجد ضرورة لذلك، حيث لم يكن ثمة فتوح، ولا احتكاك للعرب بغير العرب، ووجود سلمان، وبلال، وصهيب مثلاً فيما بين ظهрани المسلمين قد بدأ في عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأصبح حقيقة واقعة، وأمرأً مقبولاً، ومفروضاً من قبله «صلى الله عليه وآله» مباشرة..

وكان على عمر أن يتجنب الجهر بآرائه تلك في هذه المرحلة، ويقف من سعد ذلك الموقف، ولا سيما بالنسبة إلى سلمان «المحمدي» الذي كان يحظى باحترام وتقدير كبير لدى الناس عامة، ولدى الصحابة بصورة خاصة بالإضافة إلى مكانته المتميزة لدى أهل البيت، وأمير المؤمنين علي «عليه السلام» على وجه التحديد.

وكفى للتدليل على هذه المكانة لسلمان، بسبب سلوكه المتميز، وبسبب ما صدر عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» في حقه: أن نذكر: أنه لما زار سلمان دمشق.

«...» «صلى الله عليه وآله» الامام الظهر، ثم خرج، وخرج الناس يتلقونه، كما يتلقى الخليفة، فلقيناه قد «صلى الله عليه وآله» بأصحابه العصر، وهو يمشي، فوقفنا نسلم عليه، ولم يبق فيها شريف إلا

(١)

عرض عليه بيته» .

كما أنه لما قدم سلمان إلى المدينة، قال عمر للناس: «اخرجوا بنا نتلق سلمان» فخرجوا معه إلى مشارف المدينة، ولم نعرف عمر صنع مثل هذا مع عامل من عماله، أو مع أحد من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، رغم أن سلمان قد اعترض على ما جرى في السقيفة، وقوله: «كرديد ونكرديد» معروف ومشهور عنه .

أي انكم فعلتم أمراً وهو البيعة لابي بكر، ولكن كانكم ما فعلتم شيئاً، حيث لم يكن فعلكم في موضعه، كقولك لم يصدر منه أمر لا يؤثر شيئاً ما صنعت شيئاً .

وسياتي ان ابن عمر قال لعمر بن العاس، حين كانا يدبران الحيلة لصرف سلمان عن خطبته بنت عمر بن الخطاب: «.. هو

(١) تهذيب تاريخ دمشق ج ١ ص ١٩٠، وأنساب الاشراف ج ١ (قسم حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم) ص ٤٨٧ و ٤٨٨.

(٢) راجع كتاب: سلمان الفارسي ص ٣٩ تأليف العلامة الشيخ عبدالله السببتي رحمه الله، ونفس الرحمان ص ١٤٨ و ١٤٩، والبحار ج ٢٢ وأشار إلى تلقيه في: ذكر أخبار اصبهان ج ١ ص ٥٦ وتهذيب تاريخ دمشق ج ٦ ص ٢٠٥.

(٣) في بعض المصادر أنه قال: كرواذ وناكرواذ، أي عملتم، وما عملتم، لو بايعوا علياً لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم، راجع انساب الاشراف ج ١ ص ٥٩١.

سلمان ! وحاله في الإسلام حاله !!».

وعدا عن ذلك كله.. فعمل الخليفة الثاني في قوله هذا المناقض لمواقفه تلك يرى: أنه لا بد من التفريق بين السياسة والموقف، وبين الاعلام له..

فحين يكون الاعلام مضرراً بالموقف؛ فلا بد من تسجيل الموقف على الارض، ثم تجاهله، أو انكاره، وحتى تهجينه اعلامياً إن اقتضى الامر، كما هو منطوق سياسة أهل الدنيا، التي تستفيد من الحكم كوسيلة لنيل ما تصبوا إليه من مكاسب وامتيازات، على المستوى الشخصي، أو القبلي، أو الفئوي.

وأخيراً..

فان هناك رواية تقول: إن عمر بن الخطاب نفسه قد سأل سلمان عن نفسه، وذلك في حياة رسول الله «صلى الله عليه وآله»؛ فقال: أن سلمان بن عبدالله، كنت ضالاً فهداني الله بمحمد «صلى الله عليه وآله» وكنت عائلاً فاغواني الله بمحمد «صلى الله عليه وآله» وكنت مملوكاً فاعتقني الله بمحمد «صلى الله عليه وآله» هذا حسبي ونسبي، ثم شكنا سلمان ذلك إلى النبي «صلى الله عليه وآله»؛ فقال «صلى الله عليه وآله»:

«يا معشر قريش، إن حسب الرجل دينه ومروته، وأصله عقله، قال الله تعالى: (إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ

(١)

لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ .

يا سلمان، ليس لاحدٍ من هؤلاء عليك فضل إلا بتقوى الله، وإن كان التقوى لك عليهم؛ فانت أفضل» . أو نحو هذا..

وقد تقدم أن لعمر مواقف اخرى مع سلمان في حياة النبي «صلى الله عليه وآله»س، لها هذا الطابع أيضاً.

فعل القضية قد حرفت لصالح الخليفة، وخدمة له، ولعل الخليفة نفسه قد وقف هذين الموقفين المختلفين سياسةً منه وحنكة، وكانت سياسة بارعة وذكية، وما ذلك في الحياة السياسية للخليفة بعزیز، ولا نادر.

الوقفه الثالث: أنا سلمان ابن الإسلام:

كثير من الحيوان يولد مستكماً لخصائصه، التي تحقق هويته وحقيقته وذاته؛ فيمارس دوره في حدود ما اهأل له بمجرد خروجه إلى عامل الدنيا.

أما الإنسان، فيولد فاقداً لكل مقومات شخصيته كانسان يمتلك

(١) الآية ١٣ من سورة الحجرات.

(٢) قاموس الرجال ج ٤ ص ٤١٦ واختيار معرفة الرجال ص ١٤ والكافي ج ٨

ص ١٨١ وروضة الواعظين ص ٢٨٣ والبحار ج ٢٢ ص ٣٨٢ و ٣٨١

عنه وامالي الشيخ ج ١ ص ١٤٦ وعن الكشي والدرجات الرفيعة ص ٢٠٦

و ٢٠٥ ونفس الرحمان ص ١٣٢.

فعلاً خصائصه الإنسانية، وملكاته، وقواه، وغرائزه.. سوى هذا الاستعداد الفطري، الموجود فيه، الذي قد يُلبّي نداءً حاجته، كاملاً أو منقوصاً، وقد لا يلبّي ذلك النداء أصلاً، فيبقى فاقداً وفقيراً، ولا يصل إلى شيء، ومن ثم فهو لا يرتقي إلى درجة الإنسانية أصلاً..

فهو يولد فاقد القوة؛ والعقل، والارادة، كما أنه لا يملك التمييز بين الأشياء، حتى المحسوسة منها، ويفقد العلم، والمعرفة، ويفقد خصال الخير وسواها، كالشجاعة، والكرم، والحب، والبغض، والحسد والرياء، والطموح و.. إلخ.. ويفقد غريزة الجنس، وغيرها، وهو عاجز حتى عن الكلام بل هو في عجز شامل، عن أي شيء وفي حاجة حقيقية لكل شيء، لا يستطيع دفع أي مكروه عن نفسه، ولا جلب أي منفعة لها على الإطلاق.

ثم هو يبدأ بالحصول على كل ذلك وسواه تدريجاً، وبمساعدةٍ خارجة عن ذاته وحقيقته، وقد يتعرض في فترات نموه وتكامله لعوامل، أو لنكسات تعيق حصوله على هذا الأمر أو ذاك. أو يكون ذلك الحصول تاماً، أو ناقصاً، أو زائداً على قدر الحاجة فيتسبب في حدوث خلل أساسي في تكوين شخصيته كإنسان، صالح لاستخلاف الله سبحانه وتعالى له على الارض بكل ما لهذه الكلمة من معنى..

ثم.. وبعد أن يصل إلى مرحلةٍ معينة، فإنه يتولى هو أمر السيطرة على ما حصل عليه من قوى، وملكات، وغرائز وقدرات، وتسييرها، وتقوية الضعيف وتعويض النقص، أو كبح جماح القوي

منها، واستثمارها في مجال الحصول على درجات الكمال، في التخلق بأخلاق الله سبحانه، ثم في تأكيد انسانية، وسموها ورقيا في سبل الهدى، والخير، والرشاد.

ولكن من الواضح: أن هذا الإنسان الذي يراد له أن يتعامل مع كل ما ومن يحيط به، وما سخره الله لخدمته، أو أخضعه لارادته، وخوّلَه صلاحية الاستفادة منه - إنه - بسبب جهله بكثير من اسرار الكون والحياة ودقائقهما، لا يستطيع أن ينجز مهمته تلك، بصورة صحيحة وسليمة؛ فيقع مع الخطأ، ويبتلى بالانحراف، الامر الذي قد يترك سلبيات كبيرة وخطيرة على حياته، وعلى مستقبله ومصيره، بصورة عامة.

وإذن.. فلا بدّ له من يتجه نحو صانع الوجود ومبدعه، ومسيره ومدبره، والعارف بكل الاسرار والدقائق، والاثار والحقائق؛ لانه وحده العالم بكل النظم والضوابط، التي تهيمن على مخلوقاته، وتحكمها، ويعرف حقيقة تأثير وتأثر كل شيء في أي شيء، وكيفية ذلك ومداه، ونوعه، ومستواه - نعم لابدّ وأن يتجه إليه؛ فيمثل أو امره، وينتهي بنواهيته، التي ابلغه اياها الانبياء والرسل، الذين اقيمت حجتهم، وظهرت معجزتهم.

وهذا فقط، هو السبيل الوحيد، والطريق الاسلام، الذي يمكن الإنسان من أن يكمل مهمته، في الحصول باختياره وارادته، على خصائصه الإنسانية الإلهية، ويجعله يهيمن عليها، ويوازن بينها،

ويحفظ لها تعادلها، وخطها الصحيح، بعيداً عن كل السلبيات، والاختار، بلا زيف، ولا حيف، ولا تضليل، ولا خداع.

ولقد ادرك سلمان هذه الحقيقة، ووجد أن الإسلام هو الذي وهبه إنسانيته، وخصائصها الملكوتية؛ فهو الاب الحقيقي له - أما الاب النسبي؛ فلربما يكون قد ساهم - عن عمد، أو عن غير عمد في تشويه ذاته، وفي ابقائه في مستوى الحيوان الاعجم، وابعاده عن الكمال، الذي أهله الله لأن يصل إليه، ويحصل عليه.. وهذا هو السر في أنه كان إذا قيل له: من أنت؟

(١)

قال: أنا سلمان ابن الإسلام .

وتقدم قوله لسعد: ما أعرف لي أبا إلا الإسلام، ولكن سلمان ابن الإسلام.

الزواج.. والسياسة العنصرية:

هذا.. ولم يقف الامر عند ذلك الحد من التحدي، بل استمر سلمان يواجه المصاعب والمتاعب، نتيجة لسياسات التمييز العنصري، التي كانوا يواجهونها بها، ونذكر هنا ما يلي:

١ - خطب سلمان الفارسي إلى عمر بن الخطاب (رض) ابنته؛ فلم يستجز ردّه؛ فانعم له، وشق ذلك عليه، وعلى ابنه عبدالله بن

(١) الاستيعاب بهامش الاصابة ج ٢ ص ٥٧ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٨

ص ٣٤ وانساب الاشراف ج ١ ص ٤٨٧.

عمر؛ فشكا ذلك عبدالله إلى عمر بن العاص، فقال:

افتحِب أن اصرف سلمان عنكم؟.

فقال: هو سلمان، وحاله في الإسلام حاله!!

قال: أحتال له، حتى يكون هو التارك لهذا الامر، والكاره له.

قال: وددنا أنك فعلك ذلك.

فمر عمر بن العاص بسلمان في طريق؛ فضرب بيده على

منكبه، وقال: هنيئاً لك يا أبا عبدالله!!.

قال له: وما ذاك؟.

قال: هذا عمر يريد أن يتواضع بك؛ فيزوجك!.

قال: وإنما يريد أن يزوجني، ليتواضع بي؟!.

قال: نعم.

(١)

قال: لاجرم والله، لا أخطب إليه أبداً .

والظاهر هو أن سلمان إنما خطب إليه، ليجرّبه بذلك، فردّه. ثم

لما أخبره بأنه إنما أراد تجربته، عاد، فأنعم له، ليتلافى الآثار السيئة

لذلك؛ فقد:

(١) لطف التدبير ص ١٩٩ وراجع: عيون الأخبار لابن قتيبة ج ٣ ص ٢٦٩ و

٢٦٨ والعقد الفريد ج ٦ ص ٩٠ وقاموس الرجال ج؛ ص ٤٢٧ ونفس

الرحمان ص ١٤١ عن التنكرة للعلامة.

٢ - روي في نص آخر: ان سلمان اختبر عمر بخطبته إليه ابنته، في زمن النبي «صلى الله عليه وآله»؛ فرفض عمر، ثم شكا عمر إلى النبي «صلى الله عليه وآله» جرأة سلمان على ذلك؛ فانكر النبي «صلى الله عليه وآله» على عمر ذلك؛ فسكت.. وبعد ذلك قام عمر حزينا .

٣ - وفي نص آخر عن خزيمه بن ربيعة، قال: خطب سلمان إلى عمر؛ فردّه، ثم ندم، فعاد إليه، فقال: إنما أردت أن أعلم: ذهبت حمية الجاهلية من قلبك، أم أهي كما هي؟ .

٤ - وفي نص آخر، عن ابن عباس، قال: قدم سلمان من غيبة له، فتلقاه عمر، فقال: أَرْضَاكَ اللهُ عَبْدًا.

قال: فزوجني.

فسكت عنه.

فقال: أَرْضَاَنِي اللهُ عَبْدًا، وَلَا تَرْضَاَنِي لِنَفْسِكَ؟

فلما أصبح أتاه قوم؛

فقال: حاجة؟.

(١) نفس الرحمان ص٤٧ عن الحسين بن حمدان.

(٢) راجع: اختيار معرفة الرجال ص١٥ ونفس الرحمان ص١٤١ عنه

والدرجات الرفيعة ص٢١٥ والبحار ج٢٢ ص٣٥٠ وقاموس الرجال ج٤

ص٤١٧.

قالوا: نعم.

قال: وما هي؟.

قالوا: تضرب عن هذا الامر، يعنون خطبته إلى عمر.

قال: أما والله، ما حملني على هذا امرته ولا سلطانها، ولكن قلت: رجل صالح، عسى الله أن يخرج منه ومني نسمة سالحة .

٥ - وفي مناسبة اخرى نجد: أن أبا الدرداء قد «ذهب مع سلمان، يخطب عليه امرأة من بني ليث، فدخل فذكر فضل سلمان، وسابقته، وإسلامه، وذكر أنه يخطب إليهم فتاتهم فلانة؛ فقالوا: أما سلمان فلا نزوجها، ولكننا نزوجك.

فتزوجها، ثم خرج، فقال له: إنه قد كان شيء، وأنا استحيي أن أذكره لك.

قال: وما ذاك!؟

فأخبره الخبر..

فقال سلمان: أنا أحق أن استحيي منك، أن أخطبها، وقد قضاها

(١) صفة الصفوة ج ١ ص ٥٤٥ و ٥٤٦، وتهذيب تاريخ دمشق ج ٦ ص ٢٠٦ وحلية الاولياء ج ١ ص ١٨٦ وقاموس الرجال ج ٤ ص ٤٢٧ وحياة الصحابة ج ٢ ص ٧٥٣ عن مجمع الزوائد ج ٤ ص ٢٩١ عن أبي نعيم والطبراني.

فبنو ليث إذن.. يرفضون تزويج سلمان، ويفضلون أبا الدرداء عليه. ويبدو أن منشأ رفضهم، هو نفس المنشأ الذي تسبب بالمشقة والهّم لعمر، حينما خطب إليه سلمان ابنته، وهو نفس الذي حمل عمرو بن العاص، وجماعة، على التدخل لاقتناع سلمان بالعدول عن خطبتها، حسبما تقدم..

وفعل سلمان هذا، لا يدع مجالاً للشك في أنه، كان يرى: أن من حقه، ومن حق غيره: أن يتزوج بغير العربية، وبالعربية، وحتى بالقرشية، بل وحتى بانبة خليفة المسلمين بالذات، ثم هو يعتبر: أن رفض الخليفة لهذا الأمر ناشيء عن حمية الجاهلية، التي رفضها القرآن، وأدانها، واتّب عليها..

لا تؤمكمم.. ولا ننكح نساءكم:

وعليه.. فما ينسب إلى سلمان، من أنه طلب إليه: أن يصلي اماماً بجماعة من الصحابة، كانوا وإياه في سفر، فقال:

«لا تؤمكمم، ولا ننكح نساءكم، إن الله هدانا بكم».

ثم تذكر الرواية: كيف أن الذي صلى بهم، قد أتمّ الصلاة، مع أن

(١) صفة الصفوة ج ١ ص ٥٣٧ وحلية الاولياء ج ١ ص ٢٠٠ ومجمع الزوائد ج ٤ ص ٢٧٥ عن الطبراني، ورجاله ثقات. وحياة الصحابة ج ٢ ص ٧٥٤، ونفس الرحمان ص ١٤١ عن ربيع الأبرار.

- (١) اللّازم هو القصر، لأنهم مسافرون، فاعترض سلمان عليه لذلك .
- وكذا ما ينسب إليه من أنه قال لاهل المدائن: إنا امرنا أن لا نؤمكم، تقدم يازيد (أي ابن صوحان) فكان هو يؤمننا، ويخطبنا .
- وكذا ما روه عنه، من أنه قال: «نفضلكم بفضل رسول الله صلى الله عليه وآله»، يعني: العرب، لا ننكح نساءكم» .
- وكذا ما ينسب إليه، من أنه قال: «نهانا رسول الله صلى الله عليه وآله»؛ أن ننكح نساء العرب..» .
- وعنه: «فضلتمونا يا معاشر العرب باثنتين: لا نؤمكم في الصلاة، ولا ننكح نساءكم» .
- نعم.. إن كل هذا الذي ينسب إلى سلمان أنه قاله، لا يصلح قطعاً - إذا كان بهذه الصورة -؛ إذ أنه هو نفسه قد خطب إلى العرب أكثر من

(١) المصنف للصنعاني ج ٦ ص ١٥٤ وج ٢ ص ٥٢٠ والسنن الكبرى ج ٧ ص ١٣٤ وج ٢ ص ١٤٤ وحلية الأولياء ج ١ ص ١٨٩ وطبقات ابن سعد ط صادر ج ٤ ص ٩٠ وتهذيب تاريخ دمشق ج ٦ ص ٢٠٨ ومجمع الزوائد ج ٤ ص ٢٧٥ وحياة الصحابة ج ٣ ص ١٤٨.

(٢) تهذيب تاريخ دمشق ج ٦ ص ١٥.

(٣) مجمع الزوائد ج ٤ ص ٢٧٥ عن الطبراني في الكبير، ورجاله ثقات.

(٤) مجمع الزوائد ج ٤ ص ٢٧٥ عن الطبراني في الاوسط.

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم ص ١٥٩ عن العدني وعن سعيد بن منصور في سننه وغيرهما وبمعناه في ص ١٥٨ عن البزار.

مرة، حتى لقد خطب إلى خليفتهم بالذات، وقد ردّوه، ورفضوا تزويجه، واعتبر هو ردّهم له من حمية الجاهلية، حسبما اسلفنا. وهو بذلك يكون قد ساهم في فضح، وادانة سياسات التمييز العنصري، التي كان الحكام، ومن يدور في فلکهم يمارسونها، سرّاً، وعلناً، حسبما تقتضيه ظروفهم.

وإذا كان لهذا الأمر الذي اشير إليه بقوله: «أمرنا».. الخ.. أساس من الصحة؛ فلا بد وأن لا يكون من الاوامر الإلهية، ولا النبوية، وإلا لكان سلمان قد أذعن له، والتزم به..

فلعله أمر قد صدر فعلاً، ولكن ليس عن النبيّ، وانما عن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب..

ولعل الاصرار عن أن يكون هذا الحكم الظالم، جارياً على لسان خصوص سلمان، ثم يصوّره الراوي على أنه صادر من غير قائله الحقيقي، وبالذات من شخص رسول الله «صلى الله عليه وآله».. لعل ذلك - للتغطية على هذه المخالفة التي صدرت من الخليفة في حق سلمان، وجعلها في معرض الشك والترديد، شرط أن يساهم ذلك في تقوية ركائز هذه السياسة الظالمة، ويعطيها شرعية قائمة على أساس التعبد والدين..

ومما يؤيد أن تكون هذه الكلمة، التي تُقرر عدم التزويج بين العرب وغيرهم، قد صدرت من نفس الخليفة، عمر بن الخطاب: ما روي عن يزيد بن حبيب، قال: قال عمر بن الخطاب لسلمان:

يا سلمان، ما أعلم من أمر الجاهلية بشيء، إلا وضعه الله عنا بالإسلام، إلا أنا لا ننكح إليكم، ولا ننكحكم؛ فهلم، فلنزوجك ابنة الخطاب. قال: أفرّ - والله - من الكبر.

(١)

قال: فتفرّ منه، وتحمله علي؟!، لا حاجة لي به .

فإذا كان عمر هو الذي قال عبارة: «أفرّ - والله - من الكبر»، كما هو ظاهر؛ فمعنى ذلك: أنه يريد أن يتواضع بتزويج سلمان ابنته، على حد ما تقدم عن عمرو بن العاص حينما تدخل لصرف سلمان عن الخطبة.

وجواب سلمان له - والحالة هذه - يتناسب مع جوابه لعمرو بن العاص، الذي تقدم..

وإذا كانت عبارة: «أفرّ - والله - من الكبر» من كلام سلمان.. وتكون العبارة التي بعدها، وهي قوله: «فتفر منه، وتحمله علي.. الخ». هي جواب عمر له - إذا كان كذلك - فانها أيضاً صريحة في أن الخليفة يريد أن يفر من الكبر، بواسطة تزويج ابنته لسلمان.. فمعنى ذلك هو أن ما قاله عمرو بن العاص لسلمان: من أن الخليفة يريد أن يتواضع بتزويج ابنته، يكون صحيحاً..

فالنتيجة تكون واحدة على كلا الحالتين، وهي أنه يعتبر تزويج غير العربي تواضعاً، وتنزلاً في مقام الشرف والكرامة..

(١) الزهد، والرقائق، قسم ما رواه بن حماد ص ٥٢.

نعم.. وهذا ما يتناسب مع أفكار وسياسات الخليفة، بالنسبة للعرب، وللموالي..

تماماً على عكس سياسات علي أمير المؤمنين، والأئمة من ولده، عليهم الصلاة والسلام، ثم شيعتهم الاخير؛ فانهم كانوا لا يرون لبني إسماعيل فضلاً على بني اسحاق..

وقد كان لكل من السياستين آثارهما، الايجابية والسلبية، ولسوف نوضح ذلك فيما يأتي من مطالب إن شاء الله تعالى..

ولسوف نجد: أن نهج الخليفة الثاني، هو الذي استأثر بالعبادة والرعاية، سواء في عهد الدولة الاموية، أو بعدها..

ثم لم نزل نجد ملامحه وآثاره تختفي تارة، وتظهر أخرى، عبر العصور وحتى يومنا هذا..

عجمة سلمان اسطورة:

عن أبي عثمان، قال: كان سلمان لا يفقه كلامه، من شدة عجمته. وكان يسمى الخشب: خشبان .

ونقول: إن ذلك لا يصح، ولعله وضع بدوافع عنصرية، للحط

(١) راجع: ذكر أخبار اصبهان ج ١ ص ٥٥ وتهذيب تاريخ دمشق ج ٦ ص ٢١١ والفائق ج ١ ص ٣٧٢ والنهاية في اللغة ج ٢ ص ٣٢ وطبقات المحدثين بأصبهان ج ١ ص ٢٢٤ وفي هامشه عن: غريب الحديث لابن قتيبة ج ٢ ص ٢٦٨.

من شأن سلمان «رحمه الله». وذلك لما يلي:

١ - ان ابن قتيبة قال: أنا أنكر هذا الحديث. ثم استدل على ذلك بقوله: «وقد قدمنا من كلامه ما يضارع فصحاء العرب» .

ثم ذكر: أن «خشبان» في اللغة (٢) صحيح جيد، وأنه جمع لجمع خشب، كجمل، وجمالن وعلق وعلقان .

وقال الزمخشري، وابن الاثير: «قد أنكر هذا الحديث، لأن كلامه يضارع كلام الفصحاء والخشبان في جمع الخشب صحيح، ومروي. ونظيره: سلق، وعلقان، وحمل وجمالن، وقال: كأنهم بجنوب القاع (٣) خشبان ولا مزيد على ما يتعاون على ثبوته القياس، والرواية..» .

٢ - قد تقدم في رواية الامام مالك، عن الزهري، عن أبي سلمة بن عبدالرحمان: أن النبي الاعظم «صلى الله عليه وآله»، قد انتصر لسلمان، وبلال، وصهيب، ورد على قيس بن مطاطية؛ فكان مما قاله «صلى الله عليه وآله»:

«.. إن الرب واحد، والاب واحد، وليست العربية بأحدكم، من

(١) راجع غريب الحديث ج ٢ ص ٢٦٢، على ما ورد في هامش طبقات المحدثين بأصبهان ج ١ ص ٢٢٤.

(٢) راجع هامش طبقات المحدثين ج ١ ص ٢٢٤ عن غريب الحديث لابن قتيبة ج ٢ ص ٢٦٨ وتهذيب تاريخ دمشق ج ٦ ص ٢١١.

(٣) الفائق ج ١ ص ٣٧٢ وراجع: النهاية لابن الاثير ج ٢ ص ٣٢.

(١)

أب، ولا أم. وإنما هي اللسان؛ فمن تكلم بالعربية؛ فهو عربي» .
 فلعله يمكن أن يستفاد من جواب النبي «صلى الله عليه وآله»
 هذا: أن هؤلاء لأنهم كانوا يتكلمون بالعربية، فهم عرب إذن، فلا
 يصح لقيس بن مطاطية أن يفتخر عليهم بعروبته، فالنبي «صلى الله
 عليه وآله» يريد أن يفتد دعوى افضلية العرب عليهم، عن طريق
 ادخالهم في جملة العرب، لانهم يحسنون التكلم بلغتهم.
 وهذا.. ما لعله قد اشير إليه بقوله «صلى الله عليه وآله»: فمن
 تكلم بالعربية فهو عربي. مستفيداً من فاء التفرع، التي يمكن دعوى
 ظهورها في ذلك.

٣ - وكيف يمكن أن نتصور إنساناً - كسلمان - في فهمه وعلمه،
 ودقة ملاحظته، يعيش في المجتمع العربي عشرات السنين، فلا يتعلم
 لغته، حتى كان لا يفهم كلامه شدة عجمته؟! إن ذلك لعجيب، وعجيب
 حقاً.. فهل ذلك من شدة الفهم، أو من شدة البلادة!!؟

٤ - وتقدم: أيضاً: أن النبي «صلى الله عليه وآله» حين حفر
 الخندق قد دعا الله سبحانه: أن يطلق لسان سلمان، ولو ببيت من
 الشعر، فأطلق الله لسانه بثلاثة أبيات.

(١) تهذيب تاريخ دمشق ج ٦ ص ٢٠٠ وحياة الصحابة ج ٢ ص ٢٥٣، عن كنز
 العمال ج ٧ ص ٤٦، المنار ج ١١ ص ٢٥٨ - ٢٥٩ واقتضاء الصراط
 المستقيم ص ١٦٩ عن السلفي.

٥ - وفي حديث إسلامه رضوان الله عليه، نجد نصاً يقول في ضمن حديث: إن جبرئيل تفل في فيه، فجعل سلمان يتكلم بالعربية الفصيحة (١).

٦ - وبعد.. فان لسلمان - كما قال ابن قتيبة - رسائل، وخطباً، وكلمات نقلها المؤرخون، والمحدثون عنه تعتبر في غاية الفصاحة والبلاغة (٢). وهي وحدها كافية في ردّ مدعى أبي عثمان وغيره.

هذا.. وأما ما نجده في رواية اخرى، رواها المحاملي، عن أبي سليمان، قال: لما ورد علينا سلمان الفارسي المدائن، أتينا نستقرئه، يعني: نقرأ عليه. فقال: إن القرآن عربي؛ فاستقروه رجلاً عربياً (٣). فكان يقربنا زيد، ويأخذ عليه سلمان، فاذا أخطأ ردّ عليه .

إن هذه الرواية، لا تضر، فان فصاحة سلمان، لا يلزم منها أن تكون لهجته سليمة في الغاية، فلعل شيئاً من اللهجة الفارسية، كان لا يزال فيها. ولم يكن يجب أن يتأثروا حتى ولو بهذا المقدار، كما أن استقراءهم إياه يدل دلالة واضحة، على أنهم يرونه أهلاً لذلك، ولا

-
- (١) الدرجات الرفيعة ص ٢٠٥ عن شواهد النبوة، ونفس الرحمان ص ١٥.
 (٢) راجع: نفس الرحمان، والاحتجاج ج ١ والبحار، وتهذيب تاريخ دمشق، وقاموس الرجال وغير ذلك من المصادر.
 (٣) تهذيب تاريخ دمشق ج ٦ ص ١٥ وعن المصنف لابن أبي شيبة ج ١٠ ص ٤٦٠ وج ١٢ ص ١٩٢.

يرون فيه عجمة إلى حد تمنع من ذلك. ونعتقد: أن السبب في هذه التهمة هو عمر بن الخطاب، فإنه هو الذي قال عن سلمان «الطمطمانى» وذلك في محاولة لانتقاص شخصية سلمان، واستجابة لرغبة أكيدة في الحط من قدره «رحمه الله».

ولعله قد كان ثمة لكنة لدى سلمان، ولكنها لا تصل إلى حد الطمطمانيّة والعجمة، لما ذكرناه آنفاً.

الحقد الاعمى:

وأخيراً.. فإننا لا نستغرب كثيراً حين نجد المستشرقين، يطعنون في ديننا، ويهاجمون مقدساتنا، ويشككون في أبده بديهيات الإسلام والقرآن وأجلاها، وأشدها وضوحاً لدى العقل، وأقواها رسوخاً في الفطرة.

فقد عرفنا: أنهم العدو الحاقد والطامع، والمستعمر الذي يعمل بكل ما اوتي من قوة وحول من أجل تدميرنا، والاستئثار بمقدراتنا، والعبث بمقدساتنا، والسخرية بمثلنا وقيمنا.

وقد يستخدم - هذا العدو المستعمر - من أجل تحقيق اهدافه الشريرة: الحديد، والنار تارة.. وقد يلجأ إلى اسلوب التضليل، والتشكيك، والمكر والحيلة، تارة اخرى..

فلا عجب إذن.. رأيناهم يعتبرون سلمان الفارسي شخصية قلقة،

(١) ستأتي المصادر لذلك إن شاء الله.

أو اسطورة تاريخية، أو أنه من الموالي لا يحق له التصدي لبعض الامور، أو ما إلى ذلك .. فانهم يحاولون ما هو أعظم من ذلك وأخطر، وهو النيل من رسول الإسلام الاعظم «صلى الله عليه وآله»، والعبث بالقرآن ومفاهيمه، وتشويه حقائقه، ومسخ تشريعاته وتهجينها.

نعم.. لا عجب من ذلك كله.. وانما العجب كل العجب: من اولئك الذين يعتبرون أنفسهم، ويعتبرهم الناس مسلمين، ويحملون هوية الإسلام، ويرفعون شعاراته، حيث نجدهم: أشد كيداً للإسلام، وأكثر اصراراً على تشويه معالمه، وأعظم أثراً في تقويض دعائمه.

ولا نريد حشد الشواهد والادلة الكثيرة، على ان هؤلاء قد تربوا على أيدي اولئك، وتخرجوا من مدرستهم، وتأثروا بأفكارهم ومفاهيمهم، ونفثوا فيهم سمومهم المهلكة؛ فان ذلك كالنار على المنار، وكالشمس في رابعة النهار.

ولعل ذلك كان أمراً طبيعياً ما دام أن هؤلاء حين اتصلوا باولئك الشياطين المهرة، لم يكونوا قد استضاءوا بنور العلم، ولا كانت لديهم حصانة كافية، ولا وعي للإسلام ومفاهيمه يمكنهم من الصمود في وجه الهجمة الشرسة، التي تستهدف تشويه شخصيتهم، ومسخ كل وجودهم، وتدمير كل طاقاتهم، من قبل تلك الوحوش الكاسرة.. هذا

(١) راجع: سلمان الفارسي، للعلامة السببتي، ابتداءً من ٤٩.

إلى جانب شعور بالحقارة، واحساس بالضعف، وانبهار تام بمظاهر الحضارة الخادعة، التي وجدوها عندهم.. فضاعوا، وأضاعوا وضلوا الطريق وأضلوا، وعجزوا عن فهم الأمور، وعن تقييمها، ولم يمكنهم وضع الأمور في نصابها، بوعي، وبمسؤولية، وتعقل..

فكان أن وجد فيهم أولئك الاعداء الحاقدون، غاية أمانهم، ومنتهى مقاصدهم؛ وأصبحوا دمية طيعة في أيديهم، يوجون إليهم زخرف القول غروراً..

وكان أن سمعنا ورأينا من هؤلاء، الذين ينسبون أنفسهم إلى الإسلام، كل عزيمة، وارتكبوا في حق دينهم وامتهم، أبشع الجرائم، وافطعها، ولا نريد أن نفيض في ذكر نماذج من جرائمهم تلك، فان ذلك يفوق حد الاحصاء..

ولكننا نقول - على سبيل الإجمال -:

إنه لم يَسلم منهم شيء على الاطلاق.. فهم قد شككوا في العقائد، وأثاروا الشبهات حول كثير منها في أذهان الكثيرين من البسطاء والسذج وشوهوا الكثير من التعاليم والمفاهيم الإسلامية، أو كذبوا بها، ومسخوا المعاني القرآنية، وعبثوا بتعاليمه وأحكامه..

وفيما يرتبط بالشخصيات الإسلامية فقد حاولوا تصغير شأنها، والمس بكراماتها، والنيل منها، وبصورة، أو باخرى.. وكان لسمان - موضوع بحثنا - نصيب دَسِم في هذا المجال، حتى لقد قالوا عنه: إنه

(١)

يظهر أنه من خصوم الإسلام الباطنيين .

ولا ندري كيف اكتشفوا هذا السر المكنون، الذي لم يكتشفه أحد سواهم، وأين وما هي تلك النشاطات الهدامة، التي كان يمارسها سلمان، والتي استحق لاجلها هذا الوسام الخطير.. وتلك هي حياته، وتلك هي مواقفه، وممارساته، فليراجعها الباحثون، وليعكف عليها الدارسون، فهل يمكن أن يكتشفوا من خلالها إلا كل خير وصلاح، واستقامة وفلاح، وغيره على الإسلام، وتغان في سبيله؟! (٢)

وبعد.. فانهم قد وصفوا الاشتهر بـ «المارق» . (٣)

أما أبو ذر، فقد اعتبروه جلفاً، جافاً، قاسياً، واعرابياً (٤)

بل لم يسلم منهم الحسنان (٥) «عليهما السلام» ولا امهما فاطمة صلوات الله وسلامه عليهما.. .

كل ذلك بغضاً بعلي «عليه السلام»، وبكل من يتعاطف معه،

(١) وصفه بذلك محمد عبدالله عنان. راجع: دراسات وبحوث في التاريخ

والاسلام ج ٢ ص ٢٣٨.

(٢) الصواعق المحرقة ص ٣٨.

(٣) أبو ذر.. والحق المرص ص ٢٠.

(٤) راجع: التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٤٩ و ٢٠١ و ٢٠٢

و ٣٥ و ٣٦.

(٥) راجع: الموسوعة العربية الميسرة ص ١٢٦٧ والبداية والنهاية ج ٥

ص ٢٤٩ و ٢٥٠ و ٢٨٩.

وينسج على منواله، وانتصاراً للخليفة الثالث عثمان الذي كان لابي
ذر، والأشتر موقف منه معروف.

ولسلمان ذنب آخر.. وهو أنه لم يكن عربياً، فلا بد وأن يتعرض
أيضاً لرياح الحقد العنصري البغيض لأن أسيادهم المستشرقين هكذا
يريدون (١)، فان ذلك محقق لرغبتهم، ويصب في مصلحتهم.

(١) راجع: سلمان الفارسي، للعلامة السبتي حينما ينقل كلام ماسينيون حول
سلمان..

الفصل الثاني:

التمييز العنصري.. أحداث.. ومواقف

توطئة لابد منها:

إننا لانريد هنا: أن نؤرخ لقضية التمييز العنصري، لدى الشعوب المختلفة، ولا استكشاف جذوره وأثاره قبل الإسلام وبعده، ولا دراسة دوافعه النفسية، ومناشئه، ولا معالجة النظريات التي جاءت لتقرر، وتبرر، لا لتبني وتحرر..

وإنما نريد أن نلمح إلى بعض ما يرتبط بهذه القضية - على سبيل الايجاز والاشارة - وفي حدود ما يمس الواقع الذي عاشه المسلمون، بعد وفاة الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله»، وما عانوه من آثار وسلبيات، انتجتها، وخلفتها سياسات لها هذا الطابع، وتصب في هذا الاتجاه..

فنقول:

إن تاريخ هذه السياسة بعد ظهور الإسلام، يرجع إلى عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، وهو المخطط والمؤسس لها، والمصرّ على تنفيذها، ثم سار الامويون على نهجه، ونسجوا على منواله، ونفذوا ما رسمه لهم بكل دقة وامانة، وحزم..

وقبل أن نلم ببعض ما حفظه لنا التاريخ من مواقف، وتشريعات،

وقرارات، من قبل ذلك المؤسس القوي والعنيد، نلمح إلى بعض ما تمس الحاجة إلى الالماح إليه، من ملاحظات، وافكار، ترتبط بهذه السياسة، في الفترة التي تلت عهد مؤسسها، ورائدها الاول.. وبالتحديد.. في عهد الامويين، على أساس أن نعتبر هذا فصلاً تمهيدياً، لذلك الفصل الذي نتحدث فيه عن سياسات الخليفة الثاني في هذا المجال.

وبما أن سياسة التمييز هذه، لم تلق معارضة جديدة وحقيقة إلا من قبل أهل البيت «عليهم السلام»، وعلى رأسهم سيدهم علي أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه.. فاننا سوف نذكر نبذة عن هذا الامر أيضاً وتلمس بعض آثارها.. كل ذلك على سبيل الايجاز والاشارة بحول وقوته، ومنه وكرمه..

فلنبداً هنا ببعض ما يرتبط بالسياسة الاموية وما تلاها، وما يرتبط بها، فنقول:

الأمويون وسياسة التمييز العنصري:

لقد كانت السياسة الاموية تقوم على أساس التمييز بين العرب وغيرهم، ممن يعبرون عنهم بـ «الجمراء» تارة، بملاحظة اختلاف لون بشرتهم، وبـ «الموالي» اخرى .

(١) الموالي هم: اما أسرى استرقوا، ثم اعتقوا، وهم قلة.. وأما هم من غير العرب، دخلوا الاسلام؛ فحالفوا بعض القبائل العربية؛ لضمان الحماية

بل لقد تعدت السياسة الاموية ذلك إلى إثارة النعرات القبلية بين العرب أنفسهم، كالقيسية المضرية، واليمانية؛ فتارة يؤيدون هؤلاء، واخرى يؤيدون اولئك، حسبما تقتضيه مصالحهم الخاصة، وطموحاتهم في التسلط، وبسط نفوذهم على البلاد والعباد.

وقد استمروا على تأييد اليمانية إلى زمان هشام بن عبدالملك، الذي عدل إلى المضرية فقربهم، واستمروا على ذلك إلى حين سقوط الدولة الاموية، على يد أبي مسلم الخراساني والعباسيين، الذين اتخذوا جانب اليمانية، حتى لقد أرسل إبراهيم الامام، الزعيم العباسي إلى داعيته أبي مسلم، يأمره باكرام اليمانيين، وأن يبني خضراء مضر، ولا يدع على الارض منهم دياراً .

ضريبة الانحراف عن الخط الإسلامي:

وهذا التمييز، وإن كان له جذور عميقة في تاريخ البشر قبل ظهور الإسلام، لدى قدماء اليونان، ولدى غيرهم أيضاً..

اللازمة، أو لغير ذلك.. مع العلم بأن محالفتهم لهذه القبيلة، أو لتلك، يفيدها في تعزيز دورها وتأكيد بصورة عامة بين سائر القبائل.

(١) شرح النهج للمعتزلي الحنفي ج ٣ ص ٢٦٨ و ٢٦٧ وتاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ٣٤٤ والكامل في التاريخ ج ٥ ص ٣٤٨ والامامة والسياسة ج ٢ ص ١٣٧ وارجع: البداية والنهاية ج ١٠ ص ٢٨ والعقد الفريد ج ٤ ص ٤٧٩ والنزاع والتخاصم ص ٤٥ وضحى الاسلام ج ١ ص ٣٢.

ثم ظهر الإسلام في الجزيرة العربية، واعلن حرباً لا هوادة فيها على هذه النزعة، وعلى كل مظاهرها ورموزها، حتى اضطرها إلى التراجع والانحسار أمام قوة اندفاعه، وعمقها..

ولو أن الإسلام بقي هو صاحب القرار على الساحة، لاقتلعت كل جذورها، وعفيت جميع آثارها.. وإلى أبد الأبدين..

غير أنه بعد وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حينما استطاعت فئة معينة أن تختلس القرار السياسي من أصحابه الشرعيين، ولم تكن معظم المواقع في هيكلية الحكم التي أقامتها تمتلك المناعات الكافية، ولا الدوافع الحقيقية في مجال الالتزام والحركة، ولا القدرات الفكرية أو العلمية الغنية، والقوية، والأصيلة في فهم الإسلام وتشريعاته، لا في المجال النظري، ولا على صعيد العمل والموقف.. الأمر الذي أفسح المجال لكثير من النزعات، والانحرافات للظهور، والاعراب عن نفسها من جديد. ووجدت الكثيرين على استعداد لدعمها، وتوفير الشرعية لها، عن طريق جعل الحديث على لسان الرسول «صلى الله عليه وآله»؛ ليصبح الإنحراف ديناً، والهوى شريعة..

العرب.. والفتوحات:

ثم.. وبعد أن فتح العرب البلاد، واستجاب لدعوة الإسلام العباد، وارتبط الناس من غير العرب بكثير من القبائل العربية برابطة الولاء، ورأى العرب: أنهم المنتصرون، وأنهم المتفضلون، وأنهم

يملكون جمعي مصادر القوة، وقد ذل لهم العزيز، وضعف لديهم القوي.. فانهم قد بدأوا يعاملون هؤلاء الناس من موقع السيادة والهيمنة، والإستئثار، والغطرسة، والاستهتار..

ولم يقتصر الامر في ذلك على الحكام، بل قد تعداهم إلى مختلف فئات الشعب، وطبقاته.. حتى لقد ظهرت آثار ذلك في الفتاوى الفقهية، والنظريات العقائدية لدى كثر من الذين تصدوا للفتوى، وللتنظير في مجال الاعتقادات..

وقد حفظ التاريخ لنا الكثير الكثير، مما يثبت حقيقة هذه النظرة، ويعطي صورة واضحة عن هذا التعامل القبيح، والرذل، سواء على مستوى السياسة المعتمدة والمدروسة في واقع الحكم، أو على مستوى التعامل العفوي، واليومي لدى عامة الناس، وفي مختلف المواضع والمواقع..

تمحل الاعذار لا يجدي:

ولئن حاول البعض: إعتبار ما ورد مما يشير إلى ظاهرة احتقار العرب للموالي، من قبيل الحالات النادرة، التي يسجلها العلماء؛ لما فيها من صفة الندرة والشذوذ، كما وشكك في بعض ما يذكر من ارهاق الموالى بالضرائب، وحرمانهم من العطاء وغير ذلك..

لئن حاول هذا البعض ذلك..^(١)

(١) عبدالعزيز الدوري: الجذور التاريخية للشعبوية ص ١٦ - ٢٠.

فانها كانت محاولة فاشلة وعقيمة، وليس لها أية قيمة علمية، وذلك لأنها - لو صحت - فلسوف تعني، لنا: أننا سوف لن نستطيع إثبات أية حقيقة تاريخية على الاطلاق، بل أننا سوف نشك حتى في وجود معاوية، وعلي «عليه السلام»، وفي واقعة صفين، والجمل، وكربلاء. ولسوف لن نصدق بعد الآن.. بحدوث الطوفان، ولا بسقوط الاندلس، ولن يمكن أيضاً إثبات صفة الكرم والشجاعة للعرب، ولا غير ذلك من أمور..

وذلك لان ما نقل إلينا حول مسألة التمييز العنصري - إن كان لا يثبت هذا الامر، وهو بهذه الكثرة العجيبة والمفرطة - فإنه لا يمكن اثبات أي شيء من الحقائق المشار إليها آنفاً، على الاطلاق.

وكيف يمكن اعتبار الفتاوى الفقهية، المتأثرة بهذه النزعة، والتي تعمل بموجبها فرق كبيرة، ومنتشرة في طول البلاد وعرضها - كيف يمكن اعتبارها - من الامور الشاذة والنادرة؟! ولسوف يأتي بعض من ذلك في مسائل الزواج، والارث، فانتظر..

هذا إلى جانب هذا الأمر زخماً عقائدياً، كان ولا يزال راسخاً في عقل السواد الاعظم من الناس، ولمدة قرون عديدة؛ حتى لنجد ابن تيمية يقرر ذلك بصورة صريحة وواضحة، ويرسله ارسال المسلمين؛ فيقول:

«.. فان الذي عليه أهل السنة والجماعة: اعتقاد: أن جنس العرب أفضل من جنس العجم؛ عبرانيين وسريانيين، رومهم وفرسهم،

(١)

وغيرهم ..» واستدل على ذلك بان العرب أفهم من غيرهم،
 واحفظ، وأقدر على البيان .

هذا.. ولسوف نجد في هذا الفصل، وفي الذي يليه طائفة كبيرة من النصوص، عن كثير من المصادر، تظهر التنوع والاختلاف الشديد في الموارد، وفي طبيعة الأمور، التي ظهرت فيها هذه النزعة اليهودية البغيضة !! ! فان من الواضح: أنه لا يمكن أن يربط بين هذه المتفرقات، ويجمع تلك المختلفات، إلا عصبية راسخة، وبواعث لا شعورية عميقة.

هذا كله.. إلى جانب نصوص كثيرة، لم نتعرض لها؛ لاننا لسنا بصدد دراسة مستوعبة وشاملة لهذه القضية، وإنما هدفنا مجرد الالماح والاشارة.. مع تأكيدنا على أن دراسة مختلف مظاهر هذا الاتجاه، وما كان له من آثار عبر التاريخ على المجتمعات، وفي الحروب، والحركات، حتى ليقال:

إن تمييز العرب على غيرهم، كان هو السبب في ضياع الاندلس، فضلاً عما سوى ذلك من قضايا كبيرة، وأحداث خطيرة، عانى منها العالم الإسلامي عبر التاريخ.. .

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص ١٤٨.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ص ١٦٠.

(٣) راجع: الاسلام والمشكلة العنصرية ص ٩٧ - ١٠٣.

نعم.. إن دراسة كهذه، تحتاج إلى مزيد من التتبع والاستقصاء، وإلى كثير من الوقت والجهد، لسنا الآن مهيين له، ولا قادرين على توفيره..

تطوير اسلوب الصراع:

وأخيراً.. فلا يفوتنا التنبيه على أن هذا الصراع قد اتخذ طابعاً نظرياً فكرياً أيضاً، فاقبمت الحجج والبراهين، وكتبت الرسائل والبحوث، لاثبات فضل العرب، على غيرهم. وقد استمر ذلك إلى عهد متأخرة، وقد أدلى ابن تيمية^(١) بدلوه في هذا المجال، كما صنع غيره.

وقد كان من الطبيعي: أن يجهد اولئك المضطهدون، والمهدورة كراماتهم، والمسلوبة حقوقهم، في سبيل اثبات مساواتهم للعرب، واقناعهم: بأنه لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى، والعمل الصالح..

ولكننا لم نجد شيئاً ذابال، في هذا المجال في عهد الامويين، ولعل ذلك يرجع إلى أنهم ما كانوا يجروون على الظهور في أيامهم ، لانهم كانوا من أشد الناس في هذا الامر، وكانوا يفرضون سياساتهم

(١) راجع: اقتضاء الصراط المستقيم ص ١٤٢ - ١٧٠.

(٢) راجع: تاريخ التمدن الاسلامي، المجلد الثاني، جزء ٤ ص ٣٤٤ عن

الاجاني ج ٤ ص ١٢٥.

على الناس بالقوة والقهر..

أما بعد ذلك، فنجد الدعوة إلى التسوية قد نشطت، وكتبت في ذلك الرسائل، واحتجوا لها بمختلف الحجج (١).

ولكن ذلك لا يعني: أن الدولة العباسية لم تكن حساسة تجاه هذا الامر، بل الامر على عكس ذلك تماماً؛ فانها منذ بداياتها قد تصدت لهؤلاء، ولكن بذكاء، وحنكة، وتحت شعارات خادعة، وما كره، من قبيل الاتهام بالزندقة، كما سنشير إليه فيما يأتي إن شاء الله تعالى..

الشعوبية هم دعاة التسوية:

وقد عرف دعاة التسوية هؤلاء باسم: «الشعوبية».

قال ابن تيمية: «ذهبت فرقة من الناس: إلى أن لا فضل لجنس العرب على جنس العمم، وهؤلاء، يسمون: الشعوبية».

قال الجاحظ: «... ونبدأ على اسم الله، بذكر مذهب الشعوبية، ومن يتحلى باسم: التسوية..».

(١) راجع: العقد الفريد ج ٣ ص ٤٠٣ - ٤١٧ والفهرست لابن النديم ص ١٢٤ ونوادر المخطوطات ج ١ ص ٣٣١ إلى آخر الكتاب. والبيان والتبيين ج ٣ ص ٥ فما بعدها، وغير ذلك.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ص ١٤٩.

(٣) البيان والتبيين ج ٣ ص ٥.

(١) وقال ابن عبدربه: «.. قول الشعوبية، وهم أهل التسوية..» .
 وقال ابن منظور، وغيره: «الشعوبي: الذي يصغر شأن العرب،
 ولا يرى لهم فضلاً على غيرهم» .
 أي أن من لا يرى للعرب فضلاً على غيرهم؛ فهو يصغر من
 شأنهم؛ فهو إذن: شعوبي.
 ويدل على ذلك قول الخليل: «الشعوبي: الذي يصغر شأن
 العرب، فلا يرى لهم فضلاً» حيث عطف بالفاء.
 هذا.. وقد شذ من أخذته العصبية منهم، ففضل العجم على
 العرب، كابن غرسية، واسماعيل بن يسار .
 أما في عصرنا هذا، فقد أصبح لفظ «الشعوبية» يطلق على

-
- (١) العقد الفريد ج ٣ ص ٤٠٣ وراجع ص ٤٠٥ و ٤٠٨ وراجع: الجذور
 التاريخية للشعوبية ص ٩.
 (٢) لسان العرب ج ١ ص ٥٠٠ وأساس البلاغة ص ٢٣٦ والنهاية في اللغة
 ج ٢ ص ٤٧٨.
 (٣) العين ج ١ ص ٢٦٣.
 (٤) راجع: رسالة ابن غرسية في نوادر المخطوطات ج ١ ص ٣٢٩ - ٣٣٠،
 واجوبتها الاربعة من قبل علماء الاندلس، في نفس الكتاب، والفهرست
 لابن النديم ص ١٣٧ و ١٣٣ و ١١٨ والحيوان ج ٤ ص ٤٤٨ و ٤٤٩ حول
 يونس بن أبي فروة، وكذا في أمالي المرتضى ج ١ ص ١٣٢.

(١)

خصوص من يفضل العجم على العرب .

نماذج عنصرية أموية:

ونحن نذكر هنا نماذج قليلة من النصوص، التي توضح سياسة الدولة الأموية، وكذلك مواقف الناس وتوجهاتهم، في مجال التمييز العنصري، في تلك الحقبة من الزمن فنقول:

(٢)

- ١ - قالوا: إنّ الحجاج قد أمر أن لا يؤم في الكوفة إلا عربي .
- ٢ - ولما وليّ الحجاج سعيد بن جبير قضاء الكوفة، قال أهل الكوفة:

لا يصلح للقضاء إلا عربي!!

فاستقضى الحجاج أبا بردة بن أبي موسى الأشعري، وأمره أن لا يقطع أمراً دون سعيد بن جبير .

٣ - «وهو [اعني الحجاج] أول من نقش على يد كل رجل اسم

(١) راجع: الاسلام والمشكلة العنصرية ص ٩٣.

(٢) ضحى الاسلام ج ١ ص ٢٤، والعقد الفريد ج ٢ ص ٢٣٣ وراجع ص ٢٣٥ وراجع أيضاً: وفيات الاعيان، لابن خلكان ج ٢ ص ٣٧٣ وراجع: شذرات الذهب ج ١ ص ١٠٩.

(٣) وفيات الاعيان ج ٢ ص ٣٧٣، وضحى الاسلام ج ١ ص ٢٤، وراجع: تاريخ التمدن الاسلامي، المجلد الثاني جزء ٤ ص ٣٤٣.

(١)

قريته، وردة إليها، وأخرج الموالي من بين العرب» .

٤ - ويذكرون: أنه طرد غير العرب من البصرة، والبلاد المجاورة لها، واجتمعوا يندبون: وامحمدًا، وأحمدًا، ولا يعرفون أين يذهبون، ولا عجب أن نرى أهل البصرة^(٣) يلحقون بهم، ويشتركون معهم في نعي ما نزل بهم من حيث وظلم .

٥ - بل لقد قالوا: لا يقطع الصلاة إلا كلب، أو حمار، أو مولى^(٣) .

وذكر في بعض النصوص: المرأة، بدل المولى، وهذا الاحتقار للمرأة مأخوذ من اليهود، كما يعلم بالمراجعة إلى كتبهم الدينية.

٦ - وقد أراد معاوية أن يقتل شطراً من الموالي، عندما رأهم قد كثروا؛ فنهاه الأحنف عن ذلك .

(١) الاوائل ج ٢ ص ٦١ وراجع: العقد الفريد ج ٣ ص ٣١٦ و ٣١٧ وشذرات

الذهب ج ١ ص ١٠٩ وضحى الاسلام ج ١ ص ٢٤.

(٢) السيادة العربية والشيعية والإسرائيليات ص ٥٧ و ٥٦ والكامل لابن الاثير

ج ٤ ص ٤٦٥ وراجع: تاريخ التمدن الاسلامي، المجلد الاول جزء ٢

ص ٢٧٤ وراجع: ربيع الأبرار ج ٣ ص ٦٠٠ وضحى الاسلام ج ١ ص ٢٤

عن محاضرات الادباء ج ١ ص ٢١٨.

(٣) العقد الفريد ج ٣ ص ٤١٣ وتاريخ التمدن الاسلامي، المجلد الثاني جزء ٤

ص ٣٤١.

(٤) المصدران السابقان.

(١)
وقيل: إن زياداً هو الذي أراد ذلك .

٧ - وتزوج رجل من الموالي بنتاً من أعراب بني سليم؛ فركب محمد بن بشير الخارجي إلى المدينة، وواليتها يؤمنذ إبراهيم بن هشام بن إسماعيل، فشكا إليه ذلك، ففرق الوالي بين المولى وزوجته، وضربه مائتي سوط، وحلق رأسه، وحاجبه، ولحيته؛ فقال محمد بن بشير في جملة أبيان له:

(٢)
قضيت بسنة وحكمت عدلاً ولم ترث الخلافة من بعيد

٨ - وكان طاووس لا يأكل ذبيحة الزنجي، وكان يقول: وهل رأيت في زنجي خيراً قط؟ .

(٤)
٩ - ويقول: هو عبد مشوه الخلق .

١٠ - ولم تفشل ثورة المختار، إلا لانه استعان فيها بغير العرب، فتفرق العرب عنه لذلك .

(١) محاضرات الادباء ج ١ ص ٣٥٠.

(٢) الاغاني ج ١٤ ص ١٥٠ وضحى الاسلام ج ١ ص ٢٣ و ٢٤ وراجع: محاضرات الادباء ج ١ ص ٣٥٠.. ما هو بهذا المعنى.

(٣) المصنف للصنعاني ج ٤ ص ٤٨٥ وراجع: الامام ج ١ ص ١٨٦.

(٤) الامام ج ١ ص ١٨٦.

(٥) راجع: الاخبار الطوال ص ٢٩٩ و ٣٠٠ و ٣٠٤ والكامل في التاريخ ج ٤ ص ٢٢٧ و ٢٣١ و ٢٦٨ و ٢٦٩. والسيادة العربية والشيعية والاسرائيليات ص ٤٠ وراجع: تاريخ التمدن الاسلامي، المجلد الاول جزء ٢ ص ٢٨٢

وكان من جملة ما نقموه عليه أن قالوا: «... ولقد أدنى موالينا؛ فحملهم على الدواب، واعطاهم فيئنا» .

١١ - ويقول أبو الفرج: «... كان العرب إلى أن جاءت الدولة العباسية، إذا جاء العربي من السوق؛ ومعه شيء، ورأى مولى، دفعه إليه؛ فلا يمتنع» .

١٢ - بل كان لا يلي الخلافة أحد من أبناء المولدين، الذين ولدوا من امهات اعجميات .

١٣ - ويذكرون من اسباب ثورة زيد بن علي بن الحسين «عليه السلام»: ما جرى بينه وبين هشام بن عبدالملك، الذي قرر عدم صلاحية زيد للخلافة؛ لأنه ابن أمة..

وقد ردّ عليه زيد رضوان الله تعالى عليه بالنقض باسماعيل «عليه السلام»، الذي لم يمنع كونه ابن أمة: أن بعثه الله تعالى نبياً، فراجع نص الحوار بينهما في مصادره .

و ٢٨٣.

(١) الكامل في التاريخ ج ٤ ص ٢٣١ وتاريخ الامم والملوك (ط دار المعارف بمصر) ج ٦ ص ٤٤.

(٢) ضحى الاسلام ج ١ ص ٢٥.

(٣) راجع: العقد الفريد ج ٦ ص ١٣٠ و ١٣١ وضحى الاسلام ج ١ ص ٢٥ وتاريخ التمدن الاسلامي، المجلد الثاني جزء ٤ ص ٣٤٣.

(٤) راجع: ارشاد المفيد ص ٢٦٨ والبحار ج ٤٦ ص ١٨٧ و ١٨٦ والعقد

- ١٤ - وقد نافع بن جبير بن مطعم، رجلاً من أهل الموالي، يصلي^(١) به؛ فقالوا له في ذلك؛ فقال: إنما أردت أن أتواضع بالصلاة خلفه .
- ١٥ - «وكان نافع بن جبير هذا إذا مرت به جنازة، قال: من هذا؟ فإذا قالوا: قرشي، قال: واقوماه، وإذا قالوا: عربي، قال: وابلدته (وامادته) وإذا قالوا: مولى: قال: من مال الله، يأخذ ما شاء، ويدع ما شاء» .

وقال ابن عبدربه:

- ١٦ - وكانوا لا يكتنونهم بالكنى، ولا يدعونهم إلا بالاسماء والالقب.

١٧ - ولا يمشون في الصف معهم.

١٨ - ولا يقدمونهم في الموكب.

١٩ - وإن حضروا طعاماً، قاموا على رؤوسهم.

الفريد ج ٦ ص ١٢٨ وتهذيب تاريخ دمشق ج ٦ ص ٢٣ و ٢٤ وعمدة الطالب ص ٢٥٥ و ٢٥٦ والبيان والتبيين ج ١ ص ٣١٠ وربيع الأبرار ج ٣ ص ٣٣ ومروج الذهب ج ٣ ص ٢٠٦ وتاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ١٦٥ والكامل في التاريخ ج ٥ ص ٢٣٢ وبهجة الآمال ج ٤ ص ٢٣٢ وقاموس الرجال ج ٤ ص ٢٦٠.

(١) العقد الفريد ج ٣ ص ٤١٢ و ٤١٣.

(٢) العقد الفريد ج ٣ ص ٤١٣ والكامل للمبرد ج ٤ ص ١٥.

٢٠ - وإن اطعموا المولى، لسنه، وفضله، وعلمه، أجلسوه في طرف الخوان؛ لئلا يخفى على الناظر: أنه ليس من العرب.

٢١ - ولا يدعونهم يصلون على الجنائز، إذا حضر أحد من العرب، وإن كان الذي يحضر غريباً.

٢٢ - وكان الخاطب لا يخطب المرأة منهم إلى أبيها، ولا إلى أخيها، وإنما يخطبها إلى مواليتها، فإن رضي، زوج؛ والارْدُّ؛ فإن زوج الأب والآخر بغير رأي مواليتها، فسخ النكاح، وإن كان قد دخل بها، وكان سفاحاً غير نكاح.

٢٣ - وحينما كلم حمران، مولى عثمان، عامر بن عبد القيس، المعروف بزهد، وعبادته، وتقشفه، واخباته ونسكه - كلمه - عند عبدالله بن عامر صاحب العراق، في تشنيعه على عثمان، أنكر عامر ذلك؛ فقال له حمران: لا كثر الله فينا مثلك..

فقال له عامر: بل كثر الله فينا مثلك.

فقيل له: أيدعو عليك، وتدعو له؟!!

قال: نعم، يكسحون طرقنا، ويخرزون خفافنا، ويحكون ثيابنا. فاستوى ابن عامر جالساً، وكان متكئاً؛ فقال: ما كنت أظنك تعرف هذا الباب؛ لفضلك، وزهادتك.

فقال: ليس كل ما ظننت أني لا أعرفه، لا أعرف.

٢٤ - وكان عقيل بن علفة المري، يصهر إليه الخلفاء، وقال

لعبدالملك بن مروان؛ إذ خطب إليه ابنته الجرباء: جنبني هجناء ولدك.

٢٥ - ودخل أحد بني العنبر على سوار القاضي، فقال: إن أبي مات، وتركني، وأخأ لي، وخط خطين. ثم قال: وهجينا. ثم خط خطأ ناحية، فكيف يقسم المال؟

فلما أخبره سوار: أن المال بينهم أثلاثاً، قال: ما أحسبك فهمت عني، إنه تركني، وأخي، وهجينا؛ فكيف يأخذ الهجين كما أخذ أنا، وكما يأخذ أخي؟! قال: أجل..

فغضب الاعرابي، ثم اقبل على سوار، فقال: والله، لقد علمت: أنك قليل الخالات بالدهناء.

(١)

قال سوار: لا يضرني ذلك عند الله شيئاً .

٢٦ - ويروى: أن ناسكاً من بني الهجيم بن عمرو بن تميم كان يقول في قصصه: اللهم اغفر للعرب خاصة، وللموالي عامة، وأما العجم فهم عبيدك، والأمر إليك .

٢٧ - ولما فرغ الحجاج من بناء واسط، أمر بإخراج كل نبطي

(١) راجع: العقد الفريد ج ٣ ص ٤١٢ - ٤١٥.

(٢) الكامل للمبرد ج ٤ ص ١٦.

(١)

بها، وقال: لا يدخلون مدينتي؛ فانهم مفسدة .

٢٨ - ولم وصل بسر بن أبي ارطاة إلى صنعاء قتل مائة شيخ من ابناء فارس؛ لان ابني عبيدالله بن العباس كانا مستترين في بيت امرأة من ابنائهم، تعرف بابنة بزرج .

٢٩ - وحول اهتمام معاوية بالعرب، تأسيساً بسياسة سلفه عمر بن الخطاب، نجد عمرو بن عتبة يقول:

«.. ما استدرّ لعمي كلام قط، فقطعه، حتى يذكر العرب بفضل، أو يوصي فيهم بخير» .

وسياتي المزيد من الشواهد على هذه السياسة حين الكلام على اتجاه الموالي نحو العلوم وتحصيلها فانتظر، هذا بالاضافة إلى ما سوف نورده حين الكلام على سياسة الخليفة الثاني في هذه المجال..
بقي أن نشير إلى أن ظاهرة توليه بني امية الدواوين للموالي، دون العرب لا تشكل خرقاً لهذه السياسة، وذلك لانهم كانوا مجبرين على ذلك، بسبب أن العرب كانوا لا يكتبون، ولا يحسبون .

(١) معجم البلدان ج ٥ ص ٣٥٠ ومحاضرات الادباء ج ١ ص ٣٥٠.

(٢) الغدير ج ١١ ص ٢٧.

(٣) العقد الفريد ج ٣ ص ٣٢٣. وينقل عمر بن عتبة بن عمه معاوية اموراً أخرى في هذا المجال، فلتراجع في المصدر المذكور.

(٤) تاريخ التمدن الاسلامي، المجلد الثاني جزء ٤ ص ٣٤٢ عن المسعودي ج ٢

في عهد العباسيين:

أما في عهد العباسيين، فقد كانت التقلبات السياسية، التي كان لغير العرب دور كبير فيها وفي صنعها، وتوجيهها - كان لها - تأثير بارز على ظهور التعصبات العرقية، والعنصرية بين حين وآخر، على درجات متفاوتة من القوة والضعف، وقد صاحب ذلك تهيو الفرصة أمام غير العرب، للتعبير عن رأيهم في هذه القضية، والدفاع عن مبدأ المساواة بين الناس، بقوة وبحرية..

ولكن موضوع التمييز العرقي، والشعور العنصري، بقي له دوره في كثير من المواضع والمواقع، وكان له تأثيره في كثير من التقلبات، والمواقف، ولا نريد هنا تقصي هذا الامر، وإنما نريد فقط الالمام إلى مورد أو موردين ظهر فيهما هذا الامر جلياً وواضحاً، ونكل أمر تقصي ذلك إلى من يهمه هذا الأمر.

فنقول: إنه عدا عن الفتن العرقية والثورات العنصرية التي ظهرت في اكناف واطراف الدولة الإسلامية هنا وهناك، وهي كثيرة جداً (١) فاننا نجد:

١ - إنه يظهر: أن سياسة الاتهام بالزندقة، التي تعني لزوم قتل

ص ١١٤.

(١) راجع: على سبيل المثال الفتن والحروب التي جرت في عهد الرشيد ما بين

سنة ١٢٠ و ١٨٥ فإن في ذلك مقنعاً وكفاية، لمن أراد الرشد والهداية.

المتهم بها، - هذه السياسة - يرجع تاريخها إلى عهد بني أمية، ثم تبناها العباسيون بصورة أكثر فعالية، وحزماً، وتشدداً. وكانت هذه التهمة تمثل أسلوب الانتقام الناجح من الخصوم، من دون أن يثير أية سلبيات ظاهرة، بل ان فيها ايجابية اظهر الهيئة الحاكمة حريصة على الشريعة، مهمة بأمر الدين، متجلببة جلباب التقوى، والخشية والورع.

وقد طالت هذه التهمة الموالي بالدرجة الاولى، وخصوصاً المتقفين والواعين منهم، ويظهر من بعض النصوص: أن الموالي كانوا مستهدفين - هم والشيعية - بصورة رئيسية، وأساسية، يقول الجاحظ:

«... فان عامة من ارتاب بالإسلام، إنما كان ذلك أول رأي «الشعوبية»، والتمادي فيه، وطول الجدل المؤدي إلى القتال؛ فإذا أبغض شيئاً، أبغض أهله.. إلخ» .

وقد ادعى البعض: أن أغلب الزنادقة، كانوا من الموالي، أما العرب؛ فلم يوصف منهم بالزندقة سوى أربعة أشخاص، لا غير !!

(١) الحيوان: ج ٧ ص ٢٢٠، الجذور التاريخية للزندقة والشعوبية عن البيان والتبيين: ج ٣ ص ١٤ ولم نجده فيه، ولعله قد اشتبه عليه الامر.

(٢) الزندقة والشعوبية ص ٢١.

٢ - ويذكر المؤرخون: أن الخليفة الراضي لم يكن يتناول شيئاً
(١) من أسود .

٣ - وقد قرروا: أن ضياع الاندلس كان سببه التمييز بين العرب،
(٢) وغيرهم .

قوالب حضارية خادعة:

هذا.. وقد استمر هذا الاتجاه بالظهور والاختفاء بين حين وآخر، حتى لقد دافع ابن تيمية بحرارة، عن عقيدة أهل السنة والجماعة، في أن جنس العرب أفضل من جنس العجم، حسبما تقدم ولكن أصبح الجهر بهذا الأمر صعباً، ومستهجناً، وثقيلاً. فكان أن ظهر أخيراً في قوالب حضارية (!!)، وشعارات خادعة، وتحت أسماء مضللة، ومطاطة، وغائمة.. إن اختلفت في عباراتها وطروحاتها في الظاهر، فهي متفقة من حيث المضمون والجوهر، ثم من حيث الآثار والنتائج، وهذه القوالب من قبيل: الغرب، والشرق، والاوربية، والآسيوية، والقومية والوطنية. ونحو ذلك..

وذلك لأنّ شعار القومية العربية مثلاً، والقومية الفارسية، والقومية الكردية.. وما إلى ذلك من امور، تعطى على أساسها الامتيازات، وترسم انطلاقاً منها السياسات.. - إن هذه الشعارات - ما

(١) الامام ج ١ ص ١٨٦.

(٢) راجع: الاسلام والمشكلة العنصرية ص ٩٧ - ١٠٣.

هي إلا ذلك التعبير الفني الخادع، الذي يستبطن التمييز العرقي، والعنصري، بأبشع أنواعه.

ولعل أول من استخدم كلمة «القومية» - فيما نعلم - هو أبو يحيى بن مسعدة، في رسالته التي كتبت في القرن السادس الهجري، وردّ فيها على ابن غرسية .^(١)

وبعد.. فان من الواضح: أن التعصب للوطن بما هو وطن، وللكردية والفارسية، والعربية والاوربية وغيرها، واعطاء الامتيازات، ثم حرمان الآخرين، على أساس هذا الانتماء، أو ذاك، وعدمه، لا يبعد في مضمونه الحقيقي عن واقع التمييز العنصري، وما دام أن اعطاء الامتيازات على اساسه، يؤول إلى جعل أمر غير اختياري منشأً للامتيازات، وللحرمان منها.. الأمر الذي لن يكون قادراً على المساهمة في تكامل الإنسان في إنسانيته، وملكاته الخيرة والنافعة، لا من قريب، ولا من بعيد، تماماً كما هو الحال في التمييز على أساس الجمال، أو اللون، أو اللغة، أو الطبقة، أو ما إلى ذلك..

ومن هنا.. فان الحاجة تمس إلى توضيح ذلك للناس، وبيان خلفياته وابعاده المختلفة؛ ليكون الناس على بصيرة من أمرهم، وليتأكد لهم صحة وسلامة النظرة الإسلامية الواقعية في هذا المجال، ولتلتزم البشرية بتعاليم الإسلام، ويهديه القويم، في اعتبار التقوى

(١) راجع: نواذر المخطوطات ج ١ ص ٢٧٧.

أساساً للتفاضل، ومعياراً لتقييم الإنسان في إنسانيته، وفي ما يصدر
عنه من أعمال ومواقف.

الفصل الثالث:

سياستان: لا تلتقيان..

ال خليفة الثاني وسياسة التمييز العنصري:

إنه عدا عن اننا نجد اتهاماً صريحاً موجهاً من قبل العباس بن عبدالمطلب إلى عمر بن الخطاب، بأنه كان ينطلق في مواقفه من أبي سفيان حينما طالب بقتله في فتح مكة من الروح القبلية والتعصب لعشيرته، فقد قال له العباس: مهلا يا عمر، أما والله، ان لو كان من رجال بني عدي بن كعب ما قلت هذا، ولكنك عرفت: انه من رجال بني عبدمناف .

نعم.. عدا عن ذلك، فان لدينا الكثير من النصوص التي تدل على أنّ الخليفة الثاني كان يصر على تمييز العرب على كل من عداهم، وأن كل همه كان منصرفاً إلى تأكيد ذلك وتثبيته؛ ليكون سياسة متبعة بعده، يأخذها الخلف عن السلف.

ومن جهة أخرى فإنه كان يبخر غير العرب حقوقهم، ويمتهن

(١) حياة الصحابة ج ١ ص ١٥٤ عن مجمع الزوائد ج ٦ ص ١٦٧ وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٩١ عن البيهقي.

كراماتهم، ويعتدى على شخصيتهم في سياساته، وتشريعاته، ومواقفه، في الظروف، والمناسبات، والأحوال المختلفة.

ولبيان طرف من ذلك نشير إلى سياساته هذه في مجالين:

المجال الأول: تفضيل العرب:

فبالنسبة إلى سياسته في تفضيل العرب، فاننا نشير إلى ما يلي:

إن من كلماته المعروفة والمأثورة عنه، قوله: «ليس على عربي ملك»^(١).

ويقول: «إني كرهت أن يصير السبي سنة على العرب»^(٢) وقد اعتق سبي اليمن، وهن حبالى، وفرق بينهن وبين من اشتراهن .

واعتق كل مصل من سبي العرب، وشرط عليهم: أن يخدموا

(١) الأموال ص ١٩٧ و ١٩٨ و ١٩٩ والايضاح ص ٢٤٩ وقضاء أمير المؤمنين علي عليه السلام ص ٢٦٤ عنه وتاريخ الامم والملوك ج ٢ ص ٥٤٩ ط الاستقامة و سنن البيهقي ج ٩ ص ٧٣ و ٧٤ ونيل الأوطار ج ٨ ص ١٥٠، والمسترشد في امامة علي عليه السلام ص ١١٥ وراجع المصنف للصنعاني ج ١٠ ص ١٠٣ - ١٠٥ و ج ٧ ص ٢٧٨ و ٢٧٩ والنظم الاسلامية لصبحي الصالح ص ٤٦٣.

(٢) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٣٩.

(٣) الايضاح ص ٢٤٩.

(١)

. الخليفة من بعده ثلاث سنين .

وكان في وصيته: أن يعتق كل عربي في مال الله. وللامير من بعده عليهم ثلاث سنوات، يليهم مثلما كان يليهم عمر .

ولا ندري سرّ هذا الشرط، ولا مبرراته بالتحديد، إلا إذا كان يقصد خليفة معيناً لديه، يعدّ العدة لفرضه على الناس، عن طريق اختراع شورى الستة اشخاص، الذين اختارهم بعناية فائقة، مما جعله يطمئن إلى حقيقة النتيجة، التي سوف ينتهون إليها.

وحدد فداع العربي مقداراً معيناً من الإبل، ولكن ما حدده قد اختلف أيضاً ولعل ذلك يرجع إلى أنه قد تقلب رأيه وتبدل من وقت الآخر..

ولذلك نظائر في آرائه وفي قراراته، كما في بعض مسائل الارث .

ومما يروي عنه: أنه لما ولي قال: إنه لقبيح بالعرب أن يملك

(١) راجع: المصنف لعبدالرزاق ج ٨ ص ٣٨٠ و ٣٨١ و ج ٩ ص ١٦٨.

(٢) راجع: المصنف للصنعاني ج ٨ ص ٣٨٠ و ٣٨١ و ج ٩ ص ١٦٨.

(٣) راجع في ذلك: المصنف للصنعاني ج ١٠ ص ١٠٤ و ٣٠٢ و ١٠٣ و ج ٧ ص ٢٧٨ و ٢٧٩ وتاريخ الامم والملوك ج ٢ ص ٥٤٩ ط الاستقامة وغير ذلك.

(٤) راجع: الغدير ج ٦.

بعضهم بعضاً، وقد وسع الله عزّوجل، وفتح الأعاجم، واستشار في فداء سبايا العرب في الجاهلية والإسلام، إلا امرأة ولدت لسيدها..
(١)
إلخ .

ورد سبي الجاهلية، واولاد الاماء منهم احراراً إلى عشائهم، على فدية يؤدونها إلى الذين اسلموا وهم في أيديهم، قال: وهذا مشهور
(٢)
من رأيه .

كما أنه قد أمر بردّ سبي مناذر، وكل ما أصابوه منهم، على اعتبار: أنها من قرى السواد .
(٣)

وردّ سبي ميسان، رغم أن بعضهم قد وطأ جاريته زماناً، فردّها ولا يعلم إن كانت حاملاً منه أم لا .
(٤)

وكان إذا بعث عماله شرط عليهم شروطاً منها: «... لا تضربوا العرب؛ فتذلوها، ولا تجمروها فتفتنوها، ولا تعتلوا عليها؛ فتحرموها» .
(٥)

(١) راجع: الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٣٨٢ وتاريخ الأمم والملوك ط الاستقامة

ج ٢ ص ٥٤٩ وقضاء أمير المؤمنين علي عليه السلام ص ٢٦٣ و ٢٦٤ .

(٢) الأموال ص ١٩٧ .

(٣) الأموال ص ٢٠٥ وفتوح البلدان ص ٤٦٥ .

(٤) الأموال ص ٢٠٥ .

(٥) راجع: المصنف للصنعاني ج ١١ ص ٣٢٥ وتاريخ الامم والملوك ط

الاستقامة ج ٣ ص ٢٧٣ والمسترشد في امامة علي بن أبي طالب ص ١١٥

كما أنه قد أخذ من نصارى بني تغلب العشر، ومن نصارى العرب نصف العشر .

ولعل سياسة عمر هذه، هي التي دفعت البعض، لان يبادر إلى نسبة بعض الاقوال إلى رسول «صلى الله عليه وآله»، تتضمن الأمر بحب العرب، وتحذر من بغضهم .

وبعضها يدعي ان النبي «صلى الله عليه وآله» قد اختص سلمان بالنهي عن بغض العرب .

كما أن سياسة عمر هذه تجاه العرب، لعلها هي التي جعلته يأمن

ومستدرك الحاكم ج ٤ ص ٤٣٩ وحياة الصحابة ج ٢ ص ٨٢ عن كنز العمال ج ٣ ص ١٤٨ عن البيهقي عن ابن أبي شيبة والنظم الاسلامية ص ٣١٠ وعن البيهقي ج ٩ ص ٣٩ وج ١ ص ٢٧٩ .

(١) المصنف للصنعاني ج ٦ ص ٩٩ .

(٢) راجع على سبيل المثال: ذكر أخبار اصبهان ج ١ ص ٩٩ وكشف الاستار ج ١ ص ٥١ ولسان الميزان ج ١ ص ٣٥٤ واقتضاء الصراط المستقيم ص ١٤٨ و ١٤٩ و ١٥٨ و ١٥٧ و ١٥٦ و ١٥٥ وتاريخ جرجان ص ٥٣٩ والعقد الفريد ج ٣ ص ٣٢٤ وميزان الاعتدال ج ١ ص ١٨٥ ومجمع الزوائد ج ١٠ ص ٢٧ وج ١ ص ٨٩ عن البزار والطبراني في الاوسط وحياة الصحابة ج ٢ ص ٤١٥ وضحي الاسلام ج ١ ص ٧٦ .

(٣) راجع: المصادر المتقدمة، فان بعضها قد ذكر ذلك .

(١)

جانبيهم، حتى إنه ليقول: «قد كنت أظنّ: أن العرب لن يقتلني»
وفي لفظ آخر: «ما كانت العرب لتقتلني» .

المجال الثاني: تجني الخليفة على غير العرب:

أما رأي عمر وسياساته تجاه غير العرب، فرغم أنه هو نفسه يقول: «إني تعلمت العدل من كسرى، وذكر خشيته وسيرته» .
ولم يتعلم ذلك من أي شخصية عربية، حتى من النبيّ الاعظم «صلى الله عليه وآله».

ورغم أننا لا نجد في سيرة كسرى هذا العدل المدعى، الذي تعلمه عمر، ولا تلك الخشية التي نسبها إليه !! وإن كنا ربما نجد اليسير من الظواهر الخادعة، التي تخفي وراءها الكثير من الظلم والجور، والفساد، والقسوة..

نعم.. إننا رغم ذلك نجد سياسة عمر تجاه غير العرب قد كانت قاسية وظالمة، وليس فيها ما يصحح وصفها بالعدل والإنصاف..

هذه السياسة التي طبقها الامويون بعده بحذافيرها، واستمرت آثارها تتفاعل، وتتلاقح قروناً من الزمن بعد ذلك، بل إننا لا نزال نجد هذه الاكثار تظهر بصورة أو باخرى حتى يومنا هذا، حسماً المحنا

(١) المصنف للصنعاني ج ٥ ص ٤٧٦.

(٢) تاريخ عمر بن الخطاب ص ٢٤٠.

(٣) أحسن التقاسيم ص ١٨.

إليه..

ونحن نذكر فيما يلي بعض النصوص التي توضح هذه السياسة، وهي التالية:

سياسات الخليفة بالتفصيل:

١. تحريم المدينة على غير العرب:

(١) «كان عمر لا يترك أحداً من العجم يدخل المدينة..»

وحين طعن عمر، وعنف ابن عباس، لحبه وأبيه كثرة العلوج بالمدينة، قال له أن شئت فعلت؛ أي قتلناهم. قال: كذبت. بعد ما تكلموا بلسانكم، وصلوا إلى قبلتكم، وحجوا حجكم؟! .

٢. بيع الجار النبطي:

وقد نقل المأمون العباسي: أن عمر بن الخطاب كان يقول: من كان جاره نبطياً، واحتاج إلى ثمنه فليبيعه .

(١) مروج الذهب ج ٢ ص ٣٢٠ والمصنف للصنعاني ج ٥ ص ٤٧٤. وراجع: مجمع الزوائد ج ٩ ص ٧٥ عن الطبراني، وطبقات ابن سعد ط صادر ج ٣ ص ٣٤٩ والمجروحون ج ٣ ص ٣٥٠ وحياة الصحابة ج ٢ ص ٢٩ وتاريخ عمر بن الخطاب ص ٢٣٨ و ٢٤١.

(٢) تاريخ عمر بنا الخطاب ص ٢٤٣.

(٣) عيون الاخبار لابن قتيبة ج ١ ص ١٣٠ وكتاب بغداد لطيفور (ط سنة ١٣٨٨ هـ) ص ٣٨ و ٤٠ والمحاسن والمسايي ج ٢ ص ٢٧٨ والزهد

٣. لا قود لغير العربي من العربي:

وقد طلب عبادة بن الصامت من نبطي: أن يمسك له دابته، فرفض، فضربه عبادة؛ فشجه؛ فأراد عمر أن يقتص له منه؛ فقال له زيد بن ثابت:

أتقيد عبدك من أخيك؟!

(١)
فترك عمر القود، وقضى عليه بالدية .

٤. زي العجم:

وقد كتب عمر إلى من كان مع عتبة بن فرقد بأذربايجان: «... وإياكم والتنعم، وزي العجم» .

وليس ذلك لاجل أن في ذلك تشبهاً للمسلم بغير المسلم، فإنه لم

والرفائق، قسم ما رواه نعيم بن حماد ص ٥٢ ومحاضرات الادباء ج ١ ص ٣٥٠، وقضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ص ٢٦٤ عن ابن قتيبة، والحموي، وراجع: الايضاح لابن شاذان ص ٤٨٦.

(١) تهذيب تاريخ دمشق ج ٥ ص ٤٤٦ وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣١ وسنن البيهقي ج ٨ ص ٣٢ وسير اعلام النبلاء ج ٢ ص ٤٤٠ وكنز العمال ج ٧ ص ٣٠٣.

(٢) السنن الكبرى ج ١٠ ص ١٤ والمصنف للصنعاني ج ١١ ص ٨٦ وحياة الصحابة ج ٢ ص ٨٠١ عن كنز العمال ج ٨ ص ٥٨ عن البيهقي، وعن أبي ذر الهروي في الجامع.

يكن بينهما هذا التمايز الواضح في الزي، بحيث يعدّ هذا زيّ مسلم، وذلك زيّ كافر، فإن الناس كانوا يتوافقون على الدخول في الإسلام من جميع الامم، وما كانوا يؤمرون بتغيير زيّهم إلى زيّ آخر خاص بالمسلمين..

بل لقد ادعى ابن تيمية: ان الشريعة حين تنهى عن مشابهة الاعاجم، دخل في ذلك الاعاجم الكفار والمسلمون معاً .

٥- رطانة الاعاجم، ونقش الخاتم بالعربية:

وعن عمر بن الخطاب، أنه قال: «لا تعلموا رطانة الاعاجم» .

وسمع - وهو يطوف - رجلين خلفه، يرطنان؛ فالتفت إليهما، وقال: ابتغيا إلى العربية سبيلاً .

وعنه أنه قال: تعلموا العربية؛ فانها تزيد في المروءة .

فاذا كان التكلم بالعربية يزيد في المروءة بزعمه؛ فان التكلم

(١) راجع: اقتضاء الصراط المستقيم ص ١٦٢.

(٢) السنن الكبرى ج ٩ ص ٢٣٤ وراجع: المصنف للصنعاني ج ١ ص ٤١١ واقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٠٥ و ١٩٩ عن مصنف ابن أبي شيبة، والتراتب الادارية ج ١ ص ٢٠٥ و ٢٠٦.

(٣) المصنف للصنعاني ج ٥ ص ٤٩٦ و ٤٩٧ وتاريخ جرجان ص ٤٨٦.

(٤) ربيع الابرار ج ٣ ص ٥٤٥.

بالفارسية يوجب ذهاب المروءة بنظره أيضاً.

فقد رووا عنه قوله: «من تكلم بالفارسية؛ فقد خبّ، ومن خبّ ذهب مروهته»^(١).

قال الكتاني: وقد استفسد ابن رشد ما جاء عن مالك، وعن عمر، من ذم تعاطي لغة الاعاجم^(٢).

وبعد^(٣) فإن الخليفة قد نهى أيضاً؛ أن ينقش في الخاتم بالعربية ولعله ترفعاً باللغة عن الابتذال!!

تحفظ لا بد منه:

وبعد.. فاننا نعتقد: أن أبا هريرة أراد التزلف إلى الخليفة وإلى من يسرون على خطه، ويتبعون سياسته، حينما روى الحديث المرفوع: «أبغض الكلام إلى الله الفارسية»^(٤).

(١) ربيع الابرار ج ١ ص ٧٩٦ وتاريخ جرجان ص ٤٨٦ واقتضاء الصراط

المستقيم ص ٢٠٥ وراجع ص ٢٠٦ عن مصنف ابن أبي شيبة.

(٢) التراتيب الادارية ج ١ ص ٢٠٥.

(٣) راجع: طبقات ابن سعد ط صادر ج ٤ ص ١٧٦ وج ٦ ص ٤١ وط ليدن ج ٧

ص ١١ والفائق ج ٢ ص ٣٤٩ و ٣٥٠ وراجع: جامع البيان ج ٤ ص ٤٠.

(٤) لسان الميزان ج ١ ص ٤٠٦ وميزان الاعتدال ج ١ ص ٢٣٠ والمجروحون

ج ١ ص ١٢٩.

وذكر في: اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٠٥ نسبة الرواية التالية إلى النبيّ

صلّى الله عليه وآله وسلم: «من كان يحسن: أن يتكلم بالعربية؛ فلا يتكلم

وذلك لأن رسول الله ^(١) «صلى الله عليه وآله» قد تكلم بالفارسية مع أبي هريرة بالذات ، فضلاً عن موارد أخرى رويت عنه «صلى الله عليه وآله»..

كما أننا لا نكاد نصدق ما يروى: من أن الملائكة حول العرش يتكلمون بالفارسية .^(٢)

٦. ولاية المولى على العرب:

عن عبدالرحمان بن أبي ليلي، قال: خرجت مع عمر (رض) إلى مكة؛ فاستقبلنا أمير مكة: نافع بن علقمة (رض)، فقال:
من استخلف على أهل مكة؟

قال: عبدالرحمان بن أبزى (رض).

قال: عمدت إلى رجل من الموالي؛ فاستخلفته على من بها من قريش، وأصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟.

بالفارسية، فانه يورث النفاق».

(١)مسند أحمد ج ٢ ص ٣٩٠ والرصف ج ١ ص ٨٣ وسنن ابن ماجة، في الطب، باب: الصلاة شفاء رقم ٣٤٥٨ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٢٤٨ وقد ذكر تكلمه مع جابر بالفارسية أيضاً.

وفي المعجم الصغير ج ١ ص ٢١٤ ما يدل على أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يعرف الفارسية أيضاً، فراجع، وراجع سواه.

(٢) المجروحون ج ١ ص ٢٣٢.

قال: نعم. وجدته أقرأ للكتاب، ومكة أرض مختصرة؛ فاحببت أن يسمعوا كتاب الله، من رجل حسن القراءة.

قال: نعم ما رأيت، إن عبدالرحمان بن ابزي ممن يرفع الله ^(١) بالقرآن .

فراه يعتبر: أن كونه من الموالي من موجبات ضعته ونقصه، لولا أن رفعه الله بالقرآن.

٧. التفضيل بالعتاء:

وفيما يرتبط بتفضيله العرب على العجم في العطاء، فانه أمر معروف، ومشهور أيضاً ^(٢) فانه كتب الناس على قدر انسابهم؛ فلما

(١) حياة الصحابة ج ٣ ص ١٥٠ عن كنز العمال ج ٥ ص ٢١٦ عن أبي يعلى. والمصنف للصنعاني ج ١١ ص ٤٣٩ وفي هامشه عن مسلم، وأبي يعلى، ومنتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ج ٥ ص ٢١٦.

(٢) راجع: شرح النهج للمعتزلي الحنفي ج ٨ ص ١١١ والعثمانية للجاحظ ص ٢١١ والمسترشد في امامة علي عليه السلام ص ١١٥ وتاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٥٣ و ١٥٢ وبهج الصباغة ج ١٢ ص ٢٠٢ وتلخيص الشافي ج ٤ هامش ١٤ و ١٥ عن مصادر عديدة. وراجع: طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٢٢ و ٢١٢ و ٢١٦ والسنن الكبرى ج ٦ ص ٣٥٠ و ٣٤٩ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ٣ و ٤ و ٦ وكنز العمال ج ٣ ص ٣٠٩ و ٣١٥ وحياة الصحابة ج ٢ ص ٢٢٨ - ٢٣٥ وتاريخ الامم والملوك. وليراجع كل مورد تحدث فيه المؤرخون عن تدوين الدواوين في عهد عمر بن الخطاب.

(١)

انقضت العرب ذكر العجم .

قال ابن شاذان: «.. فلم تزل العصبية ثابتة في الناس، منذ ذلك، إلى يومنا هذا» .

وقد أجرى سياسة التمييز هذه حتى بالنسبة لنساء النبي «صلى الله عليه وآله»، قال الجاحظ: «فضل القرشيات من نساء النبي «صلى الله عليه وآله» على غيرهن» .

ويكفي أن نشير هنا إلى أنه قد أعطى جويرية ستة آلاف درهم، بينما أعطى عائشة اثني عشر ألف درهم، وقال: لا أجعل سبية كابنة أبي بكر الصديق .

٨. الكفاءة في النكاح:

أضف إلى جميع ما تقدم: أنه نهى أن يتزوج العجم في العرب، وقال: لا منعن فزوجهن إلا من الاكفاء .

(١) راجع: اقتضاء الصراط المستقيم ص ١٥٩ .

(٢) الايضاح ص ٢٥٢ .

(٣) العثمانية ص ٢١١ .

(٤) أنساب الاشراف، قسم سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ص ٤٤٢

وراجع: تاريخ الامم والملوك ج ٢ ص ٦١٤ .

(٥) الايضاح ص ٢٨٠ و ٢٨٦ وفي هوامشه عن عدد من المصادر، وراجع:

الاستغاثة ص ٤٥ والمستترشد في امامة علي عليه السلام ص ١١٤ والسنن

وعند الجاحظ أنه قال: «زوجوا الاكفاء. وكان أشد منه (أي من أبي بكر) في أمر المناكح» .

(٢)

وصاروا يفرقون بين العربية والموالي .

وقد انعكس ذلك على الفقه أيضاً، فقد: قالت الحنفية: «قريش بعضها اكفاء لبعض»، ومن كان له أبوان في الإسلام فصاعداً من الموالي، فهم أكفاء .

وفي التذكرة: أن الحنفية، وبعض الشافعية، قد أفتوا بأن العجم ليسوا اكفاء للعرب. أما الثوري، فكان يرى التفريق بين المولى (٤) والعربية وشدد فيه وله فتاوى عجيبة أخرى لا مجال لذكرها هنا .

الكبرى ج ٧ ص ١٣٣ والمصنف للصنعاني ج ٦ ص ١٥٢ و ١٥٤ وراجع: نفس الرحمان ص ٢٩ ومحاضرات الادباء، المجلد الثاني جزء ٣ ص ٢٠٨.

(١) العثمانية ص ٢١١.

(٢) الايضاح ص ٢٨٦.

(٣) الاسلام والمشكلة العنصرية ص ٦٧ عن الجامع الصغير لمحمد بن الحسن ص ٣٢ هامش كتاب الخراج لابي يوسف ط بولاق.

(٤) راجع: المصنف للصنعاني ج ٦ ص ١٥٤ وكلام أبي حنيفة في ضحى

الاسلام ج ١ ص ٧٧ وكلام الشافعية في كتاب: الاسلام والمشكلة العنصرية

ص ٦٧ عن كتاب: التنبيه في الفقه الشافعي ص ٩٥. وراجع: اقتضاء

الصراط المستقيم ص ١٥٩.

وقال ابن رشد: «قال سفيان الثوري وأحمد: لا تزوج العربية من مولى، وقال أبو حنيفة وإصحابه: لا تزوج قرشية إلا من قرشي، ولا عربية إلا من عربي» .

كما ويلاحظ هنا: أنهم قد وضعوا بعض ما يسمى بالروايات، ونسبوا إلى النبي «صلى الله عليه وآله» .

ونكاد نظن: أن الخليفة الثاني، قد استفاد ذلك من كسرى، الذي تعلم منه العدل أيضاً.. وذلك لأن أنوشيروان اشترط على معدي كرب شروطاً، منها: أن الفرس تزوج باليمن، ولا تتزوج اليمن منها. وفي ذلك يقول الشاعر:

على أن ينكحوا النسوان منهم ولا ينكحوا في الفار سينا (٣) .

وبعد.. فأننا نجد عمر بن عبدالعزيز الاموي يقتفي خطى عمر بن الخطاب في هذا المجال؛ فهو يقول:

لا يتزوج من الموالي في العرب إلا الاشتهر البطر، ولا يتزوج من العرب في الموالي إلا الطمع الطبع، وقال:

لا خير في طمع يهدي إلى طمع وغفة من قوام العيش

(١) بداية المجتهد: ج ٢ ص ٣٥١.

(٢) راجع: كشف الاستار ج ٢ ص ١٦١ ومجمع الزوائد ج ٤ ص ٢٧٥.

(٣) مروج الذهب ج ٢ ص ٥٦. ويلاحظ: أن الشطر الثاني غير مستقيم. ولعل

الصحيح: وألا ينكحوا في الفار سينا.

(١)

تكفيني

وقال الجاحظ: «وقالت الزنج للعرب: من جهلكم أنكم رأيتمونا لكم اكفاء في الجاهلية في نسائكم؛ فلما جاء الإسلام رأيتم ذلك (٢) فاسداً» .

وزعم الاصمعي، قال: سمعت أعرابياً يقول لآخر:

أترى هذه العجم تنكح نساءنا في الجنة؟!!

قال: أرى ذلك - والله - بالأعمال الصالحة.

(٣)

قال: توطأ - والله - رقابنا قبل ذلك .

٩. قرار يعجز الخليفة عن تنفيذه:

ولما ورد سبي الفرس إلى المدينة أراد عمر أن يبيع النساء، ويجعل الرجال عبيداً للعرب، وعزم على أن يحملوا الضعيف، والشيخ الكبير في الطواف حو البيت على ظهورهم.

ولكن أمير المؤمنين علياً «عليه السلام» رفض ذلك، وأعتق نصيبه، ونصيب بني هاشم، فتبعه المهاجرون والانصار، ففات على عمر ما كان أرادته (٤) .

(١) الفائق ج ١ ص ٣٥٣.

(٢) رسائل الجاحظ ج ١ ص ١٩٧.

(٣) الكامل للمبرد ج ٤ ص ١٦.

(٤) نفس الرحمان ج ١٤٤ ودلائل الامامة ص ٨١ و ٨٢ والبحار ج ٤٦ ص ١٥

١٠. محاولة استئصال غير العرب:

وقد أرسل عمر إلى أبي موسى الأشعري، عامله بالبصرة حسب ما ورد في رسالة معاوية لزياد: «... أعرض من قبلك من أهل البصرة؛ فمن وجدت من الموالي، ^(١) ومن اسلم من الاعاجم قد بلغ خمسة أشبار؛ فقدمه؛ فاضرب عنقه» .

فشاور أبو موسى زياداً، فنهاه زياد عن ذلك، وأمره أن يراجع عمر في ذلك، فكتب إليه، وأرسل زياداً إليه بالكتاب، فلم يزل بعمر حتى رده عن رأيه، وخوفه فرقة الناس، فرجع..

وقال له: «ما يؤمنك، وقد عادت أهل هذا البيت: أن يثوروا إلى علي؛ فينهض بهم، فيزيل ملكك؟!». «فكفّ عن ذلك» .

ثم تذكر الرسالة سبب اقدام عمر على هذا الإجراء، وهي امور هامة يجدر بالباحث الاطلاع عليها، ويقول فيها أيضاً معاوية لزياد: «... فلو كنت يا أخي لم ترد عمر عن ذلك لجرت سنته، ولا ستأصلهم الله، وقطع أصلهم. وإذن.. لاستنتت به الخلفاء بعده، حتى لا

و ١٦ وج ٩٧ ص ٥٦ وج ٤٥ ص ٣٣٠ والمناقب لابن شهر آشوب ج ٤ ص ٤٨.

(١) سليم بن قيس ص ١٤٢ وراجع: نفس الرحمان ص ١٤٤ وسفينة البحار ج ٢ ص ١٦٥.

(١)

يبقى منه شعر، ولا ظفر، ولا نافخ نار إلخ..» .

١١. أوامر وقرارات لا تطاق:

وقد جاء في رسالة معاوية لزياد بن أبيه، المشار إليها آنفاً:
الأوامر والقرارات التالية:

«.. وانظر إلى الموالي، ومن أسلم من الاعاجم؛ فخذهم بسنة
عمر بن الخطاب؛ فان في ذلك خزيهم ونلهم:

ان تتكح العرب فيهم.

ولا تتكحوهم.

وأن يرثهم العرب.

ولا يرثونهم.

ولا تقصر بهم في عطائهم، وأرزاقهم..

وأن يقدموا في المغازي: يصلحون الطريق، ويقطعون الشجر.

ولا يؤم أحد منهم العرب في صلاة.

ولا يتقدم أحد منهم في الصف الأول، إذا حضرت العرب، إلا أن

يتموا الصف.

ولا تولّ أهداً منهم ثغراً من ثغور المسلمين، ولا مصراً من

امصارهم.

(١) راجع: كتاب سليم بن قيس ص ١٤٢ - ١٤٣ ونفس الرحمان ص ١٤٤.

ولا يلي أحد منهم قضاء المسلمين.

ولا أحكامهم.

فان هذه سنة عمر فيهم، وسيرته..».

إلى أن قال:

«.. وفي رواية اخرى: يا أخي لولا أن عمر سنّ دية الموالي

على النصف من دية العرب - وذلك أقرب للتقوى - لما كان للعرب

فضل على العجم.

فاذا جاءك كتابي هذا..

فأذلّ العجم.

وأهנם.

واقصهم.

ولا تستعن بأحد منهم.
(١)
ولا تقض له حاجة» .

١٢. الإِثْر:

قد أشير في الرسالة السابقة إلى أن عمر بن الخطاب قد قرر: أن

العرب يرثون العجم والموالي، ولا يرث هؤلاء أولئك..

(١) راجع: كتاب سليم بن قيس ص ١٤٠ و ١٤١ ونفس الرحمان ص ١٤٤

وسفينة البحار ج ٢ ص ١٦٥.

ولا يقتصر نقل ذلك عنه على ذلك النص، فقد صرحوا بقولهم: (١)
أبي عمر: أن يورث أحداً من الاعاجم إلا أحداً ولد في العرب (٢)
 زاد رزين: أو امرأة جاءت حاملاً؛ فولدت في العرب.. (٣)
 وهو قول عثمان وعمر بن عبدالعزيز أيضاً .

١٣. تقليد أظفار العجم:

وكان ثابت بن قرّة الحراني الصابي الفيلسوف يقول: «فضلت
 أمة النبيّ العربي على جميع الامم الخالية بثلاثة لا يوجد في من
 مضى مثلهن:

بعمر بن الخطاب في سياسته؛ فانه قلم أظفار العجم، ولطف في
 إيالة العرب، وتأتى لتدبير الحروب، وأشبع لبطن العرب» (٤) .

١٤. الحمراء والتجارة:

«... وفي العتبية: قال مالك: قال عمر بن الخطاب: عليكم

(١) الموطأ ج ٢ ص ٦٠ والغدير ج ٦ ص ١٨٧ عنه. وبداية المجتهد ج ٢
 ص ٣٥١ وراجع: المصنف للصنعاني ج ١٠ ص ٣٠٠ و ٣٠١ وعن كنز
 العمال ج ٦، وتيسير الوصول ج ٢ ص ١٨٨.

(٢) تيسير الوصول ج ٢ ص ١٨٨.

(٣) بداية المجتهد ج ٢ ص ٣٥١ وراجع: المصنف للصنعاني ج ١٠ ص ٣٠٠
 و ٣٠١ عن عثمان وعمر وراجع: كنز العمال ج ٦.

(٤) البصائر والذخائر ج ١ ص ١٩٥.

بالتجارة، لا تفتنكم هذه الحمراء على دنياكم. قال اشهب: كانت قریش تتجر، وكانت العرب تحقر التجارة.

والحمراء يعني: الموالى.

وفي المدخل لابن الحاج: ورد أن عمر بن الخطاب دخل السوق في خلافته؛ فلم يرفيه في الغالب إلا النبط، فاعتم لذلك؛ فلما أن اجتمع الناس أخبرهم بذلك، وعذلهم في ترك السوق؛ فقالوا: إن اغنانا عن السوق، بما فتح به علينا، فقال (رض): والله لئن فعلتم ليجتاح رجالكم إلى رجالهم، ونساؤكم إلى نسائهم» .

هذه نظرة عمر إلى الموالى، وهذا هو رأيه فيهم. بل لقد منعهم حتى من دخول السوق ! فقد روي عنه: أنه قال: لا يدخل الاعاجم سوقنا حتى يتفقهوا في الدين .

ولا ندري إن كان قد اشترط على العرب أيضاً هذا الشرط أم لا؟ بل ان الظاهر من رواية العتبية، وابن الحاج: أنه كان لا يرغب في ان يرى الموالى في السوق، يتجرون، ويحصلون على المال دون العرب؛ فموقفه نابع من حبه الخير للعرب، دونهم. وقد رأينا فيما سبق كيف فضل العرب عليهم، في العطاء، وفي الزواج، وفي ما سوى ذلك من امور.

(١) التراتيب الادارية ج ٢ ص ٢٠ وذكر في ص ٢١ نصوصاً أخرى: فلتراجع.

(٢) التراتيب الادارية ج ٢ ص ١٧.

وخطب عمر في الجابية، فكان مما قال: «واياكم وأخلاق العجم.. إلى أن قال: (١) واياكم أن تكسبوا من عقد الاعاجم، بعد نزولكم في أرضهم. إلخ» .

وأخيراً.. فإن ولده عبدا، الذي كان معجباً بأبيه، ومتأثراً به إلى حد بعيد - قد ورثه في احتقاره لغير العرب، فقد روي: أنه مرّ على زنجي؛ فقال له: السلام عليك يا جُعَل .

وبعد كل ما تقدم يتضح: ان ما روي من أن عمر بن الخطاب قد لام أبا موسى، (٣) لأنه حين قدم عليه قوم أعطى العرب منهم وترك الموالي إنما هو لان عدم اعطائهم شيئاً اصلاً من شأنه ان يثيرهم عليه، ويصبح ذلك بداية مشكلات كبيرة قد لا يكون أبو موسى قادراً على مواجهتها، وعليه.. فلا يكون ذلك مخالفاً لرايه الذي ذكرنا بعض شواهد وأدلته.

سياسة علي «عليه السلام» مع غير العرب:

ونجد في مقابل هذه السياسة العمرية سياسة اخرى علوية، فان سياسة علي «عليه السلام» جاءت لتجسد رأي الإسلام على أتم وجه، ووافاه، ويتضح ذلك بملاحظة ما يلي من نصوص:

(١) حياة الصحابة ج ٣ ص ٤٨٨ عن كنز العمال ج ٨ ص ٢٠٧.

(٢) الطبقات الكبرى، لابن سعد ج ٤ قسم ص ١١٧ ط ليدن.

(٣) حياة الصحابة ج ٢ ص ٤٤٧ عن كنز العمال ج ٢ ص ٣١٩ و ١٧٢.

١ - «قال مغيرة: كان علي «عليه السلام» أميل إلى الموالي، وألطف بهم، وكان عمر أشدّ تباعداً منهم» .

٢ - كما أنه «عليه السلام» لم يكن يميز أحداً على أحد، لا في العطاء، ولا في غيره؛ وذلك لأنه لم يجد في القرآن لبني إسماعيل فضلاً على بني إسحاق على حدّ تعبيره في اجابته لتلك المرأة التي طالبت به بأن يفضلها على أخرى غير عربية .

وقد كان ذلك من أهم اسباب تقاعد العرب عنه.

وقد أشير عليه أن يميّز البعض على غيره، من أجل أن تستقيم له الامور؛ فرفض ذلك؛ حيث إنه لم يكن ليطلب النصر بالجور، على حدّ تعبيره صلوات الله وسلامه عليه .

(١) الغارات ج ٢ ص ٤٩٩.

(٢) راجع: الغارات ج ١ ص ٧٠، وأنساب الاشراف (بتحقيق المحمودي) ج ٢

ص ١٤١ و سنن البيهقي ج ٦ ص ٣٤٩ وتاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٨٣

والكافي (الروضة) ص ٦٩ و حياة الصحابة ج ٢ ص ١١٢ عن البيهقي،

والبحار ج ٤١ ص ١٣٧ عن شرح النهج للمعتزلي الحنفي ج ١ ص ٢١٥ -

٢١٧ والغدير ج ٨ ص ٢٤٠ وبهج الصباغة ج ١٢ ص ١٩٧ - ٢٠٧ عن

بعض من تقدم، وعن مصادر اخرى وفي هامش الغارات عن: الوسائل

ج ٢ ص ٤٣١ ط أمير بهادر وعن ثامن البحار ص ٧٣٩.

(٣) راجع: الامالي للشيخ المفيد ص ١٧٥ و ١٧٦ والامالي للشيخ الطوسي ج ١

ص ١٩٨ و ١٩٧ والغارات ج ١ ص ٧٥ وبهج الصباغة ج ١٢ ص ١٩٦

وقد علمنا: أن من جملة ما نقمه عليه طلحة والزبير: أنه قد عدل
(١) عن سنة عمر بن الخطاب في العطاء وذلك معروف ومشهور .

٢ - وسئل «عليه السلام»: أيجوز تزويج الموالي بالعريبات؟
(٢) فقال: تتكافأ دماؤكم، ولا تتكافأ فروجكم؟! .

٣ - وقد أتى الموالي أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام، فقالوا:
نشكو إليك هؤلاء العرب؛ إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان
يعطينا معهم العطايا بالسوية، وزوج سلمان، وبلالا، وأبوا علينا
هؤلاء، وقالوا: لا نفعل..

فذهب إليهم أمير المؤمنين؛ فكلمهم، فصاح الاغريب: أبينا ذلك
يا أبا الحسن، أبينا ذلك.

فخرج وهو مغضب، يجر رداءه، وهو يقول: يا معشر الموالي،
إن هؤلاء قد صيروكم بمنزلة اليهود والنصارى، يتزوجون منكم، ولا
يزوجونكم، ولا يعطونكم مثل ما يأخذون؛ فاتجروا بآرك الله لكم إلخ..

والوسائل ج ١١ ص ٨٢ و ٨١ والكافي ج ٤ ص ٣١ وتحف العقول
ص ١٢٦ والامامة والسياسة ج ١ ص ١٥٣ ونهج البلاغة بشرح عبده ج ٢
ص ١٠ وشرح النهج للمعتزلي ج ٢ ص ١٩٧ و ٢٠٣ والبحار ج ٤١
ص ١٣٣ و ١٣٤.

(١) راجع على سبيل المثال المعيار والموازنة ص ١١٤ و ١١٣: المناقب لابن

شهر آشوب ج ٢ ص ١١١.

(٢) الاستغاثة ص ٤٥.

وواضح: أن ذلك قد كان قبل البيعة له عليه الصلاة والسلام بالخلافة..

٤ - وقال الأشعث بن قيس لأمير المؤمنين «عليه السلام»، وهو على المنبر: يا أمير المؤمنين، غلبتنا هذه الحمراء على قربك! قال: فركض على المنبر برجله. فقال صعصعة: ما لنا ولهذا - يعني الأشعث - ليقولن أمير المؤمنين اليوم في العرب قولاً لا يزال يذكر!!..

(٢)
فقال علي «عليه السلام»: من يعذرني من هؤلاء الضياطرة ،
يتمرغ أحدهم علي فراشه تمرغ الحمار، ويهجّر قوم للذكر؛ فيأمرني أن أطردهم إلخ..

(١) الكافي ج ٥ ص ٣١٩ و ٣١٨ وراجع: سفينة البحار ج ٢ ص ١٦٥ ونفس
الرحمان ص ٣٠ والبحار ج ٤٢ ص ١٦٠.

(٢) الضيطر: هو الأحمر، العضيل، الفاحش.

(٣) راجع: الكامل للمبرد ج ٢ ص ٦٢ والغارات ج ٢ ص ٤٩٩ و ٤٩٨ وشرح
النهج للمعتزلي الحنفي ج ٢ ص ٢٨٤ وج ١٩ ص ١٢٤ والفائق ج ١
ص ٣١٩ وكنز العمال ج ٤ ص ٣٩٧ عن ابن أبي شيبة، والحارث، وأبي
عبيد، والدورقي، وابن جرير وصححة، والبزار وغريب الحديث ج ٣
ص ٤٨٤ والنهاية ج ٣ ص ٨٧ وراجع: تفسير العياشي ج ١ ص ٣٦١ و
٣٦٠ والبحار ج ٤١ ص ١١٨ وتفسير البرهان ج ١ ص ٥٢٧ وتفسير

وتوقعات صعصعة، التي تحققت، تدل على أن ذلك كان معروفاً من رأي علي «عليه السلام» وطريقته.

ذرية علي («عليه السلام») تسير على نهجه:

وقد سار وُلد علي أمير المؤمنين «عليه السلام» وأهل بيته علي نفس هذه السياسة أيضاً، واعتمدوا عين هذا النهج، ويكفي أن نذكر:

١ - أن السجاد «عليه السلام» قد أعتق - على ما قيل - خمسين ألفاً ، بل قيل: أعتق مائة ألف.. .

٢ - وأعتق مولاته، ثم تزوجها، فكتب إليه عبدالمك بن مروان يعيره بذلك؛ فأجابه بكتاب جاء فيه: «..وقد رفع الله بالإسلام الخسيسية، وتم به النقيصة، وأذهب اللوم؛ فلا لوم على امرئ مسلم، إنما اللوم لوم الجاهلية».

وقد اعترف عبدالمك حينئذٍ: بأن السجاد يرتفع من حيث يتضع

الثقلين ج ١ ص ٥٩٨ و ٥٩٧ وقاموس الرجال ج ٢ ص ٩٩ وبهج الصباغة ج ١٣ ص ٤٠٠ ومجلة نور علم سنة ٢ عدد ٦ ص ٢٠ في مقال للعلامة المحقق الأحمدي الميانجي، عن بعض من تقدم، وعن نثر الدرر ج ١ ص ٢٩٩ و ٣٠٠ وعن تهذيب الكامل للسباعي ج ٢ ص ١١٦ وعن شرح الكامل للمرصفي ج ٤ ص ١٩٤.

(١) زين العابدين، لعبد العزيز سيد الأهل ص ٤٧.

(٢) المصدر السابق ص ٧.

(١)
الناس .

(٢)

وقد نسبت هذه القضية للامام الحسين مع معاوية ، فلا بد من تحقق ذلك، ولا مجال لذلك في هذه العجالة..

٣ - وحسب رواية أخرى: أن السجاد تزوج أم ولد عمه الحسن «عليه السلام»، وزوج مولاه أمه.

(٣) (ونعقد: أن المراد بها مرضعته، لأن امه قد توفيت، في نفاسها به) .

فلما بلغ ذلك عبدالملك كتبه إليه في ذلك، فكتب إليه السجاد:

فهمت كتابك، ولنا اسوة برسول الله «صلى الله عليه وآله»؛ فقد زوج زينب بنت عمه زيدا مولاه. وتزوج مولاته صفية بنت حيي بن أخطب .

(١) البحار ج٤٦ ص١٦٤ و ١٦٥ والكافي ج ٥ ص٣٤٤ و ٣٤٥ وراجع ص٣٦١ وأئمتنا ج١ ص٢٨٧ و ٢٨٨ عن: زين العابدين لعبد العزيز سيد الأهل ص٦٠ والعقد الفريد ج٦ ص١٢٨ وعن المناقب لابن شهر آشوب ج٣ ص٣٠٠.

(٢) الإسلام والمشكلة العنصرية ص٦٥ و ٦٦ عن الموالي في العصر العباسي ص٣٩.

(٣) عيون أخبار الرضا ج٢ ص١٢٨ والبحار ج٤٦ ص٨ و٩.

(٤) راجع: الكافي ج ٥ ص٣٤٦ و ٣٦١ والبحار ج٤٦ ص١٣٩ و ١٤٠ والإسلام والمشكلة العنصرية ص٦٦ عن الموالي في العصر الأموي

وحسبنا ما ذكرنا، فإننا لسنا بصدد تتبع ذلك واستقصائه..

الرافد الأول والأساس:

وأخيراً.. فإن من الواضح: أن سياسات التمييز العنصري، سياسات غريبة عن الإسلام، بعيدة كل البعد عن تعاليمه، مناقضة لتشريعاته.

فهل تأثر رواد هذه السياسة، وحماتها بغيرهم، ممن حرصوا عليها، حرصهم على أنفسهم، واعتبروها نهج حياة، وأساس تعامل؟!
الجواب: نعم..

إن الخليفة الثاني، عمر بن الخطاب، حينما أعلن عن آرائه وسياساته، تجاه غير العرب، وانتهج سياسة التمييز العنصري، لم يكن في الحقيقة قد ابتدع أمراً جديداً من عند نفسه، لم يكن من قبل. بل لقد سبقه إلى هذا الأمر اليهود والنصارى؛ فلعله قد تأثر ببعض علمائهم، الذين كانوا مقربين إليه، وكان يرجع إليهم في كثير من القضايا الحساسة، من أمثال: كعب الاحبار، وعبد بن سلام، وتميم الداري..

(١) واليهود هم الذين قالوا: (نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ) .

وقال تعالى: (قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنَّ زَعْمَتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (١).

ونحن نذكر فيما يلي نماذج من النصوص العنصرية عند اليهود، وخصوصاً في تلمودهم؛ فنقول:

نصوص عنصرية يهودية:

«قريب اليهود هو اليهودي فقط، باقي الناس حيوانات في صورة انسان. هم حمير، وكلاب، وخنازير».

«إذا ضرب إمي اسرائليا، فكانما ضرب العزة الالهية» «فالامي يستحق الموت» .

أما كونهم شعب الله المختار، فلان الله قد تزوج اسرائيل، وسجل عقد الزواج بينهما، وكانت السموات والارض شهوداً على هذا العقد .

«ولليهودي في الاعياد أن يطعم الكلب، وليس له أن يطعم غير اليهود، والشعب المختار هو اليهود فقط، أما باقي الشعوب، فهم حيوانات.

ويروي: أنه لما قدم بخت نصر ابنته إلى زعيم اليهود؛ ليتزوجها،

(١) الآية ٦ من سورة الجمعة.

(٢) الكنز المرصود ص ٦٦ ومقارنة الأديان (اليهودية) ص ٢٧٢.

(٣) مقارنة الأديان (اليهودية) ص ٢١٢ و ٢١٣.

(١)

قال له هذا الزعيم: إني يهودي ولست من الحيوانات إلخ..» .

وجاء في تلمود اورشليم ص (٩٤): ان النطفة المخلوق منها باقي الشعوب الخارجين عن الديانة اليهودية هي نطفة حصان .

ويلزم المرأة أن تعيد غسلها إذا رأت عند خروجها من الحمام شيئاً نجساً، ككلب، أو حمار، أو مجنون، أو امي، أو جمل، أو خنزير» إلخ .

«خلق الله الاجنبي على هيئة الإنسان؛ ليكون لائقاً لخدمة اليهود» .

(٥)

إن اليهود يعتبرون أنفسهم جزءاً من الله . بل يعتبرون أنفسهم مساوين للعزة الالهية .

«.. نحن شعب الله في الارض. وقد أوجب علينا أن نفرقنا؛ لمنفعتنا؛ ذلك أنه لأجل رحمته ورضاه سخر لنا الحيوان الإنساني،

(١) مقارنة الأديان (اليهودية) ص ٢٧٢ والكنز المرصود ص ٦٧ و ٦٨ وعن:

التلمود شريعة إسرائيل ص ٢٥.

(٢) الكنز المرصود ص ٦٧ وراجع ص ٦٨.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الكنز المرصود ص ٦٩.

(٥) الكنز المرصود ص ٦٦ واليهود قديماً وحديثاً ص ٦٩ ومقارنة الأديان

(اليهودية) ص ٢٧٢.

(٦) الكنز المرصود في قواعد التلمود ص ٧٢.

وهم كل الامم والاجناس، سخرهم لنا؛ لانه يعلم: أننا نحتاج إلى نوعين من الحيوان: نوع أخرس - كالدواب، والانعام، والطيور - ونوع ناطق، كالمسيحيين، والمسلمين، والبوذيين، وسائر الامم من أهل الشرق والغرب؛ فسخرهم؛ ليكونوا مسخرين لخدمتنا، وفرقنا في الارض؛ لنمتطي ظهورهم، ونمسك بعنانهم إلخ..» (١)

وفي بروتوكولات حكماء صهيون، البرتوكول الخامس عشر، والحادي عشر نصوص اخرى؛ فلترجع.. هذا عدا عما سوى ذلك، مما ورد في الموارد المختلفة.

وأخيراً.. فقد قال آدم متز: «كان أغلب تجار الرقيق في أوربا من اليهود.

(٢) وكان الرقيق يجلب كله تقريباً من الشرق الأدنى» .

تحريض يهودي مبطن:

وإذا كان اليهود قد ساهموا في حمل الحكام على اتباع هذه السياسة، بصورة صريحة، أو مبطنة؛ فانهم ولا شك، كانوا يرصدون الواقع، ويرقبون الاحداث؛ ويساهمون في توجيهها بحيث، تصب في مصلحتهم، ولا أقل، من الاعداد لمنع حدوث أية مضاعفات تسيء إلى مواقعهم، أو تحد من طموحاتهم..

(١) اليهود قديماً وحديثاً ص ١٤ وتفسير الجواهر للطنطاوي ج ٢ ص ١٣٦.

(٢) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ج ١ ص ٣٠١.

ولا بدّ وأن يكونوا قد لاحظوا: أن أنباط يثرب كانوا أشد الناس على عثمان، حين الثورة عليه، كما سيأتي، وأن انظار كل الناس - إبان حصار عثمان وحين قتله - كانت متجهة صوب أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام، حتى لقد اتجهوا إلى بيعته، قبل أن يدفن الخليفة المقتول بشوق زائد، ولهفة ظاهرة، حتى وطئ الحسان، وشق عطفاي، على حد تعبير علي «عليه السلام» نفسه..

مع سابق علمهم ويقينهم بأن سياسة وطريقة علي «عليه السلام» في التعامل مع مسألة التمييز والتفضيل، ومع غيرها من المسائل والقضايا، هي التجسيد الحي لسياسة الرسول الاعظم «صلى الله عليه وآله» وطريقته.

فلا بدّ وأن يعيد الامور إلى نصابها، ويعطي كل ذي حق حقه، ولسوف لا يرى فضلاً لبني إسماعيل على بني إسحاق، ولا عكس ذلك..

نعم.. إن اليهود، واحبارهم، الذين اظهروا الإسلام، إذا كانوا يدركون كل ذلك، فان من الطبيعي أن نجدهم يتحركون لتلافي الاخطار المحتملة، فنجد الحبر اليهودي، الذي اظهر الإسلام، يظهر موقفه بأسلوب يستبطن اثاره المخاوف، والتحريض على العصيان..

فقد روي مسلم بن إبراهيم، قال: أخبرنا سلام بن مسكين، قال: أخبرنا مالك بن دينار، أخبرني من سمع عبدا بن سلام يقول يوم قتل

(١)

عثمان: «اليوم هلكت العرب» .

فهو يريد أن يثير حفيظة العرب، بالتلويح بخسرانهم الامتيازات الظالمة، التي منحهم إياها الحكم، مع تحذير مبطن من أن الامور تتجه نحو تحكيم اولئك الذين لا يرون فضلاً لأحد على أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح، فما على العرب إذن إلا أن يتحركوا، وأن يدفعوا الاخطار المحتملة عن أنفسهم!!

وهكذا.. فان صانعي سياسة التمييز بين الناس، يحاولون الآن استثمار جهودهم، ونفث سمومهم، وتسديد ضربتهم للمسلمين وللإسلام في الصميم، فيثيرون عصبية العرب ضد غيرهم، ويصوّرون لهم: أنهم في خطر أكيد، وأمام عدو عنيد، قد أصبحت الحرب معه حرباً مصيرية، وأصبحت العداوة قائمة على الثأر الدم، فهي إذن ثابتة وراسخة، لن يستطيع أحد إطفاء نارها، ولا التحرز من آثارها..

وإلا.. فلماذا يهلك العرب إذا قتل عثمان، ولا يهلك غيرهم من الناس؟!!

وما هذه الغيرة الشديدة من سليل بني إسرائيل على العرب، وعلى مصيرهم؟!!

الفصل الرابع: التميز العصري.. نتائج.. وآثار

من آثار ونتائج السياسة العمرية:

وبعد.. فلقد كان لسياسة التمييز العنصري التي تحدثنا عنها آثارها الخاصة بها، سواء بالنسبة إلى أولئك الذين هدرت كراماتهم، وسلبت حقوقهم، وعلى أساسها، وهم الموالي، وغير العرب.. أو بالنسبة لمؤسسها ورائدها، الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، وكل الذين ساروا على نهجه، ونسجوا على منواله.. ولكنها آثار لها طبيعتها الخاصة بها، بالنسبة إلى كل فريق من هذين، كما سنرى.

أضف إلى ذلك تلك الآثار الأخرى، ذات الطبيعة المتميزة أيضاً على ذلك الفريق الثالث، الذي عارض هذه السياسة، ورفضها، وأدانها، بقوة، وصلابة.. أعني علياً أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام، وأهل بيته الطاهرين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ثم شيعتهم الأبرار الميامين، الذين ترسموا خطاهم، واتبعوا سبيلهم، الذي هو سبيل الإيمان والإسلام.

آثار سياسة عمر على العرب:

فاما بالنسبة لآثارها على العرب، وهم المنتفعون الأوائل من هذه السياسة، بصورة عامة فإننا نقول باختصار:

إن العرب قد حصلوا نتيجة لذلك على امتيازات كثيرة، وأصبحت لهم السابقة والارجحية في كل شيء، واختصوا لانفسهم بكل مصادر الخير، والفضل، والتقدم في المجالات المختلفة وهم الذين كانوا إلى الامس القريب لا يحلمون حتى بأن يحكموا أنفسهم، أو يملكوا أمرهم. وكانوا يعيشون الحياة الصعبة بكل ما لهذه الكلمة من معنى، ويعانون من عقدة التخلف، والحقارة، والمهانة بصورة حقيقية..

وكانوا يتعاملون مع كل من يحيط بهم من الامم، من موقع الحاجة، والضعف، والاستكانة، والفقرة؛ فيقيسون ما هم من ذل إلى ملك كسروي، وجبروت قيصري، فيرون البون الشاسع، والفرق الكبير؛ فأين الثريا من الثرى. وأين الحضيض من السها، قال قتادة: «كان هذا الحي من العرب أذل الناس ذلاً، وأشقاه عيشاً، وأبينه ضلالةً، واعراه جلوداً، وأجوعه بطوناً، معكومين على رأس حجرين أسدين: فارس، والروم. لا والله. ما في بلادهم يؤمنذ شيء يحسدون عليه، من عاش منهم عاش شقياً، ومن مات ردّي في النار. يؤكلون، ولا يأكلون. والله ما نعلم قبيلاً يؤمنذ، من حاضر الارض، كانوا فيها أصغر حظاً، وأدق فيها شأناً منهم، حتى جاء الله عزّوجلّ بالإسلام، فورتكم به الكتاب واحل لكم به دار الجهاد، ووضع لكم به من الرزق، وجعلكم به ملوكاً على رقاب الناس» (١).

(١) جامع البيان ج ٤ ص ٢٥ وضحي الإسلام ج ١ ص ١٨ عنه.

وهناك كلمات أمير المؤمنين المعبرة عن حالة العرب، وأنهم كانوا على «شر دين، وفي شر دار، بين حجارة خشن، وحيات صم، تشربون الكدر، وتأكلون الجشب إلخ» .

وله «عليه السلام» كلمات اخرى تعبر عن حالة العرب.. فليراجعها من ارادها.. وليراجع أيضاً كلام المغيرة بن شعبة في هذا المجال .

وإذا كانت هذه حالتهم، فانهم لم يكن يمكن لهم أن يسمحوا لمخيلتهم أن يمر فيها وهم الخروج من حالتهم تلك، فضلاً عن أن يفكروا في السيطرة على الامبراطورية الكسروية وغيرها، ويصبحوا بين يوم وآخر أسياد العالم وحكامه، والمسيطرين على قدراته وامكاناته.

أضف إلى ذلك: أن الاكثرية الساحقة حين حصول هذا التحول الهائل في واقعهم، كانت لا تزال تعيش في ظل مفاهيمها الجاهلية، وتخضع للضوابط والمعايير القبلية، وتنطلق في مواقفها من اهوائها، وعصبياتها، ومصالحها الشخصية.

ولم يتهيأ لها، أو لم تكلف نفسها عناء العيش في ظل مفاهيم

(١) نهج البلاغة (بشرح محمد عبده) الخطبة رقم ٢٥.

(٢) راجع في ذلك كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه

وآله» (الطبعة الأولى ١٤٠٣) ج ١ ص ٤٧ و ٤٨.

الإسلام وتعاليمه، ولم تتفاعل مع قيمه ومثله، ولا عاشت التجربة إلا في حدود الشعار، أو التوهج العاطفي، الذي لم يتأصل في وعيها، ولم يتجذر في فكرها، ولا تلاقي مع فطرتها، ولا لأمس ضميرها ووجدانها..

وقد تجلى ذلك بصورة أوضح، بعد أن تعرضت الأمة بعد وفاة نبيها لمسح إعلامي، وتثقيفي، عمل على إيجاد حالة جديدة، تستهدف تحويل الاتجاه في مرامي الطموح إلى مسار جديد ينسجم مع المصالح الطارئة، والتغيرات العارضة، التي جاءت كنتيجة طبيعية للتغيير غير الطبيعي الذي نار مركز القيادة بعد الرسول الاعظم «صلى الله عليه وآله»، فتسلّمت القيادة تلك الفئة التي خصتهم بامتيازات ما كانوا يفكرون فيها، ولا يحلمون بها.. فعكفوا على دنياهم، وغرقوا في زبارجها وبهارجها.

ولم يعد يهمهم، إلا أن يكرسوا لانفسهم هذه الامتيازات، ويحوظوها، ويحافظوا عليها، ثم الحصول على المزيد منها، مهما كان ذلك ظالماً، ومدمراً للآخرين، أو مخالفاً للشرع، ولأحكام الدين، أو تمجه الاخلاق، وتأباه الفطرة..

وبعد كل ذلك، فان من الطبيعي: أن نجد: أن هؤلاء، قد ابتلوا بداء الغرور، وبرذيلة الصلف والكبرياء، وما فتنوا يمارسون مختلف أنواع الظلم، والاضطهاد، والاذلال لمن كانوا بالامس أسيادهم، وأصبحوا اليوم مواليمهم وعبيدهم..

وكان من المتوقع كذلك بعد أن ملكوا الاموال، والضياع، والبلاد أن يسقطوا في حمأة الشهوات، وأن يستغرقوا بصورة بشعة، وغير معقولة ولا متزنة في المذات، ما حلّ منها، وما حرم. وأن تسحرهم الجواهر والمظاهر وتأخذ عقولهم الدنيا وما فيها، من زبارج. وتبدأ ملامح شخصيتهم الإنسانية بالانحسار والتلاشي، ليبرز عوضاً عنها ذلك المارد البهيمي الشرس، والضاري، الذي افلتت من القمقم، حين كان يعيش في ظلمات نفوسهم..

هذا المارد العتي، الذي لم يكن ليرحم أحداً، يحاول أن يقف في وجهه، ولسوف يواجهه بالمزيد من المقت، والكراهة، والحقد، وبروح الافناء والتدمير. ولا يفرق بين نبي، أو ولي، ولا بين رسول ورسالة، ولا بين فضيلة أو تقوى، ولا بين فطرة أو عقل..

وهذا بالذات هو الذي يفسر لنا ما نال عليّاً «عليه السلام» وأهل بيته، وشيعته، على مدى التاريخ وما واقعة كربلاء عنا ببعيد، وهو أيضاً يعطينا التفسير الدقيق لدوافع الحرب التي لا تزال تشن دون هوادة، على الإسلام، والقرآن، وعلى كل ما هو شرف ودين، وكمال وفضيلة..

ذلك أن عليّاً «عليه السلام» وأهل بيته وشيعته، يلتزمون بتعاليم الإسلام، ويمثلون خط القرآن والإيمان، ويتحلون بفضائل الاخلاق، وكريم السجايا، ويهتدون بهدى العقل والفطرة.

عظمة عمر بن الخطاب في العرب:

وأما فيما يرتبط بآثار تلك السياسة على رائدها الاول، ومرسي قواعدها، عمر بن الخطاب، فقد كان من الطبيعي، بعد أن فتحت الفتوحات، وأقبلت الدنيا على الناس، وأرضيَ غرور الإنسان العربي، واستجيب لاهوائه، وطموحاته في الحصول على المال، وعلى غيره.. ثم استثمر الاعلام ذلك لصالح فريق معين، على حساب كل ما ومن عداه. لقد كان من الطبيعي والحالة هذه: أن يتأكد عند الناس نباهة قوم، وخمول آخرين، وهو ما اشار اليه علي «عليه السلام»، حين قال في جملة كلام له: «.. ثم فتح الله عليها الفتوح؛ فأثرت بعد الفاقة، وتمولت بعد الجهد والمخمصة..».

إلى أن يقول: «ثم نسبت تلك الفتوح إلى آراء ولاتها، وحسن تدبير الامراء القائمين عليها؛ فتأكد عند الناس نباهة قوم، وخمول آخرين إلخ..».

نعم.. لقد كان من الطبيعي: أن يوجد ذلك التمييز والتفضيل للعرب، تياراً جارفاً من الحب، والتعظيم، والتبجيل لذلك الذي كان السبب في حصولهم على كل ما حصلوا عليه، وأن يصبح رأيه فيهم كالشرع المتبع، وتصبح سنته فيهم هي السنة الماضية.

وقد ذكرنا في كتابنا: الحياة السياسية للامام الحسن «عليه

(١) شرح النهج للمعتزلي ص ٢٠ ص ٢٩٩..

السلام» ص ٨٦ - ٩٠ بعض ما يفيد في هذا المجال، ونذكر هنا بعض النصوص الاخرى، لاطهار كيف أن قول الخليفة الثاني قد أصبح في الناس كالشرع المتبع، وهي التالية:

إنه يكفي أن نذكر: أنه قد بلغ من عظمة عمر بن الخطاب: أن علياً «عليه السلام» لم يستطع أن يمنع جنده من صلاة التراويح، قال «عليه السلام»:

«... وتنادى بعض أهل عسكري، ممن يقاتل معي: يا أهل الإسلام، غيرت سنة عمر، ينهانا عن الصلاة في شهر رمضان تطوعاً، ولقد خفت أن يثوروا في ناحية جانب عسكري» .

وفي نص آخر: أنهم سألوه أن ينصب لهم اماماً يصلي بهم نافلة شهر رمضان؛ فزجرهم، وعرفهم: أن ذلك خلاف السنة، فتركوه، واجتمعوا لانفسهم، وقدموا بعضهم؛ فبعث إليهم ولده الحسن ليفرقهم؛ «فلما رأوه تبادروا إلى أبواب المسجد، وصاحوا: واعمراه» .

ولعل اول من صاح بذلك هو قاضيه شريح .

(١) الكافي ج ٨ ص ٥٩ - ٦٣ ..

(٢) راجع: شرح النهج للمعتزلي ج ٢ ص ٢٨٣ وج ١ ص ٢٦٩ والصراف المستقيم ج ٣ ص ٢٦ وتلخيص الشافي ج ٤ ص ٥٨ والبحار (ط قديم) ج ٨ ص ٢٨٤.

(٣) رجال المامقاني ج ٢ ص ٨٣.

وحينما أراد أن يعزل شريحاً عن القضاء، قال له أهل الكوفة: «لا تعزله، لانه منصوب من قبل عمر، وقد بايعناك على أن لا تغير شيئاً قرره أبو بكر وعمر» .

(٢)

كما أن يزيد بن المهلب قد وعد الناس بالعمل بسنة العمرين .
وليس سنة النبيّ «صلى الله عليه وآله» !!

بل إن طلحة والزبير، الذين قاتلا أمير المؤمنين «عليه السلام» بأهل البصرة العراقيين، حينما قال لهما «عليه السلام»: «.. ما الذي كرهتما من أمري، ونقمتما من تأميري، ورأيتما من خلافي؟! »

قالا: (٣) خلافاً عمر بن الخطاب، وائمتنا، وحقنا في الفيء إلخ..
« .

ونادى (٤) أصحاب الجمل بأمير المؤمنين: «اعطنا سنة العمرين» .

وقال الخوارج لقيس بن سعد: «لسنا متابعيكم أو تأتونا بمثل عمر.

فقال: والله، ما نعلم على الأرض مثل عمر، إلا أن يكون

(١) المصدر السابق.

(٢) محاضرات الراغب المجلد الثاني ج ٣ ص ١٨٨.

(٣) المعيار والموازنة ص ١١٣.

(٤) الكامل للمبرد ج ١ ص ١٤٤.

صاحبنا».

وحسب نص الطبري: «ما نعلمه فينا غير صاحبنا، فهل تعلمونه (١) فيكم؟!» .

وحينما أراد الخوارج اقناع بعض زعمائهم، وهو زيد بن حصين، بقبول الولاية عليهم، اجتمعوا إليه، وقالوا له: «أنت سيدنا (٢) وشيخنا، وعامل عمر بن الخطاب على الكوفة، تولّ الخ..» .

كما أن نجدة بن عامر الحروري: قد تخلّى عن فكرة مهاجمة المدينة، لما أن «أخبر بلبس عبدالله بن عمر بن الخطاب السلاح؛ تأهباً لقتاله مع أهل المدينة، ذلك أن نجدة، وسائر الخوارج، كانوا يوقرون اباه عمر بن الخطاب توقيراً شديداً. وقد اختاره نجدة للإجابة على مسأله، فكتب إليه نجدة يسأله عن أشياء في الفقه لكنها كانت اسئلة عويصة؛ فترك الاجابة عنها إلى ابن عباس» .

ويذكرون أيضاً: ان ابن عباس، قد أشار علي أمير المؤمنين «عليه السلام» بابقاء معاوية على الشام، واحتج لذلك بقوله: «فان

(١) الأخبار الطوال ص ٢٠٧ وتاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٦٢ والكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٣٤٣ وأنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج ٢ ص ٣٧٠ و ٣٧١ وبهج الصباغة ج ٧ ص ١٤٣ .

(٢) الثقات ج ٢ ص ٢٩٥ والخوارج والشيعة ص ٧١ .

(٣) الخوارج والشيعة ص ٧١ .

(١)

عمر بن الخطاب ولاة الشام في خلافته» .

وحينما عاتب أمير المؤمنين «عليه السلام» الخليفة الثالث عثمان بن عفان، في أمر تولي معاوية للشام، قال له عثمان: «انكرت علي استعمال معاوية، وانت تعلم: أن معاوية كان أطوع لعمر بن يرفأ (٢) غلامه؟ إن عمر كان إذا استعمل عاملاً وطأ على صماخه إلخ..»

وفي نص آخر: ان عثمان قال له: «ألم يولّ عمر المغيرة بن شعبة، وليس هناك؟ قال: نعم. قال: أو لم يولّ معاوية؟ قال علي: ان معاوية كان أشدّ خوفاً وطاعة لعمر من يرفأ. وهو الآن بينت الامور دونك إلخ..» .

هذا.. وقد احتج معاوية نفسه على صعصعة وأصحابه بنصب عمر له؛ فليراجع (٤) .

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ ص ٤٩.

(٢) شرح النهج للمعتزلي الحنفي ج ٩ ص ٢٤.

(٣) أنساب الأشراف ج ٥ ص ٦٠ والكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٥٢ وتاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٣٧٧ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ قسم ٢ ص ١٤٣ والغدير ج ٩ ص ١٦٠ عنهم وعن تاريخ أبي الفداء ج ١ ص ١٦٨. والنصائح الكافية ص ١٧٤.

(٤) تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٣١٦ والكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٤٣ والغدير ج ٩ ص ٣٥ عن شرح النهج للمعتزلي ج ١ ص ١٥٨ - ١٦٠ وعن

ولما خرجت الخوارج من الكوفة، أتى علياً أصحابه، وشيعته، فبايعوه، وقالوا: نحن اولياء من واليت، واعداء من عاديت؛ فشرط لهم فيه سنة النبي «صلى الله عليه وآله»؛ فجاءه ربيعة بن أبي شداد الخثعمي، وكان شهد معه الجمل، وصفين، ومعه راية خثعم؛ فقال له: بايع على كتاب الله، وسنة رسوله.

فقال ربيعة: على سنة أبي بكر، وعمر..

فقال له علي «عليه السلام»: ويلك، لو أن بكر وعمر عملا بغير كتاب الله، وسنة رسوله، لم يكونا على شيء من الحق.. فبايعه ربيعة.

ونظر إليه علي «عليه السلام»، فقال: أما والله، لكأني بك، وقد نفرت مع هذه الخوارج، فقتلت، وكأني بك، وقد وطأتك الخيل بحوافرها..

فقتل يوم النهر. قال قبيصة: فرأيت يوم النهروان قتيلاً، قد وطأت الخيل وجهه، وشدخت رأسه ومثلت به. فذكرت قول علي، فقلت: در أبي الحسن ما حرك شفثيه قط بشيء الا كان كذلك .

تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٣٨٧ - ٣٨٩ وعن تاريخ أبي الفداء ج ١ ص ١٦٨.

(١) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٤٦ وراجع: تاريخ الطبري ج ٤ ص ٥٦ وبهج الصباغة ج ٧ ص ١٧٩ وراجع كتابنا: الحياة السياسية للإمام الحسن «عليه

وقال الاشعث بن قيس لامير المؤمنين «عليه السلام» فيما يرتبط
بارسال أبي موسى للتحكيم:

«.. وهذا أبو موسى الاشعري، وافد أهل اليمن إلى رسول الله
”صلى الله عليه وآله“، وصاحب مغنم أبي بكر، وعامل عمر بن
الخطاب..» .

أما في الاتجاه السلبي:

وفي الاتجاه السلبي، نجد أن هؤلاء المهذورة كراماتهم، المسلوية
حقوقهم، من قبل الهيئة الحاكمة، واعوانها على الخصوص،
يصبحون أشد الناس على عثمان، حيث ثار الناس عليه، بسبب ما
ظهر منه، في أيام خلافته، ولا سيما في السنوات الاخيرة منها.

١ - يقول ابن عدي، وهو يتحدث عن حصر أهل المدينة، وأهل
مصر عثمان بن عفان:

«.. وكان معهم من القبائل: خزاعة، وسعد بن بكر، وهذيل،
وطوائف من جهينة، ومزينة، وانباط يثرب، وهؤلاء كانوا أشد الناس
عليه» .

٢- وحينما جاء عرب الكوفة إلى عبدالرحمان بن مخنف الأزدي،

السلام»، والكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٣٣٧.

(١) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٣٠..

(٢) العقد الفريد ج ٤ ص ٣٠٠ والغدير ج ٩ ص ١٦٩ عنه..

وطلبوا منه الخروج معهم على المختار، قال لهم عبدالرحمان: «.. أخاف أن تتفرقوا وتختلفوا. ومع الرجل شجعانكم وفرسانكم، مثل فلان، وفلان. ثم معه عبيدكم، ومواليكم؛ وكلمة هؤلاء واحدة. ومواليكم أشد حنقاً عليكم من عدوكم؛ فهم مقاتلوكم بشجاعة العرب، وعداوة العجم» .

٣ - هذا.. بالإضافة إلى أن قتل الخليفة عمر بن الخطاب، إنما تم علي يد شخص غير عربي، وهو أبو لؤلؤة، غلام المغيرة بن شعبة.. وذلك معروف ومشهور.

وذلك كله أمر طبيعي، فان الناس بشر، لهم أحاسيسهم، ومشاعرهم، ولهم كذلك كرامات، وطموحات، لا بدّ من مراعاتها، والاستجابة لها، وإلا.. فان النار تحرق، والشجر يورق، والبحر يغرق.

آثار سياسة علي «عليه السلام» وأهل بيته:

هذا.. ولكن سياسة علي أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام، قد أسفرت عن نتائج وآثار سلبية، وأخرى ايجابية..

(١) راجع: تاريخ الأمم والملوك (ط دار المعارف بمصر) ج ٦ ص ٤٥ والكامل لابن الاثير ج ٤ ص ٢٣١.

(٢) راجع: تاريخ عمر بن الخطاب، لابن الجوزي ص ٢٣٨ و ٢٣٩ وأي كتاب تاريخي، يؤرخ لقتل الخليفة الثاني.

فأما بالنسبة للسلبية منها؛ فان مساواة علي «عليه السلام» بين العرب وغيرهم، ولا سيما في العطاء، قد كان من أهم اسباب الخلاف عليه، وكانت قسمته بالسوية أول ما أنكروه منه، واورثهم الضغن عليه (١).

وكان ذلك من أسباب خروج طلحة والزبير، ثم ما جرى في حرب الجمل .

وقد قال له عمار، وأبو الهيثم، وأبو أيوب، وسهل بن حنيف، وجماعة:

«إنهم قد نقضوا عهدك، واخلفوا وعدك، ودعونا في السر إلى رفضك. هداك الله لرشدك، وذلك لانهم كرهوا الإسوة، ولفقدوا الإثرة، ولما آسيت بينهم وبين الاعاجم أنكروا إلخ..» .

وكتب ابن عباس إلى الامام الحسن «عليه السلام» يقول له:
«.. وقد علمت أن أباك علياً، إنما رغب الناس عنه، وصاروا إلى معاوية؛ لانه واسى بينهم في الفيء، وسوى بينهم في العطاء إلخ..»

(١) شرح النهج للمعتزلي الحنفي ج ٧ ص ٣٧.

(٢) راجع: المعيار والموازنة ص ١١٣ و ١١٤.

(٣) شرح النهج للمعتزلي الحنفي ج ٧ ص ٣٧ عن الاسكافي، وبهج الصباغة

(١)

« .

بل لقد كان للعرب، كل العرب موقف سلبي من علي «عليه السلام»، قد عبر عنه هو نفسه، حينما كتب لآخيه عقيل: «ألا وان العرب قد أجمعت على حرب أخيك، اجماعها على حرب رسول الله «صلى الله عليه وآله» قبل اليوم؛ فأصبحوا قد جهلوا حقه، وجدوا فضله، وبادروه العداوة، ونصبوا له الحرب، وجهدوا عليه كل الجهد، وجرؤا إليه جيش الاحزاب إلخ» (٢) .

وعلى الصعيد الايجابي فإننا نجد تعاطف غير العرب، مع أولئك الذين وجدوا فيهم التجسيد الحي لتعاليم الإسلام، وهم علي وأهل بيته «عليهم السلام»، وشعبيته الابرار؛ فقد كان من الطبيعي: أن تشدّهم إليهم أواصر المحبة، وأن ينظروا إليهم بعين الاكبار، والاجلال، والتقدير الفائق، وأن يجدوا فيهم الملجأ والملاذ لهم، في جميع ما ينوبهم..

ويكفي أن نذكر هنا:

-
- (١) الفتوح لابن أعمش ج ٤ ص ١٤٩ وشرح النهج للمعتزلي الحنفي ج ١٦ ص ٢٣ وعن جمهرة رسائل العرب ج ٢ ص ١ وراجع: حياة الإمام الحسن بن علي للقرشي ج ٢ ص ٢٦..
- (٢) شرح النهج للمعتزلي الحنفي ج ٢ ص ١١٩ والغارات ج ٢ ص ٤٣١ والبحار ج ٨ ط قديم ص ٦٢١ والدرجات الرفيعة ص ١٥٦ ونهج السعادة ج ٥ ص ٣٠٢..

١ - أن الموالي كانوا هم أنصار المختار، في حركته التي كانت ترفع شعار الأخذ بثارات الحسين «عليه السلام»^(١)، وكان ذلك - على ما يبدو - هو السبب في تخاذل العرب عنه .

٢ - وكان لعثمان عبد، فاستشفع بعلي أن يكاتبه عثمان، فشفع له، فكاتبه .

٣ - وقال السيد أمير علي: «وقد أظهر الامام علي منذ بداية الدعوة الإسلامية كل تقدير ومودة نحو الفرس، الذين اعتنقوا الإسلام. لقد كان سلمان الفارسي - وهو أحد مشاهير اصحاب الرسول - رفيق علي وصديقه. كان من عادة الامام أن يخصص نصيبه النقدي في الانفال لافتداء الاسرى. وكثيراً ما أقنع الخليفة عمر بمشورته، فعمد إلى تخفيف عبء الرعية في فارس. وهكذا.. كان ولاء الفرس لاحفاده واضحاً تمام الوضوح» .

٤ - ويرى فان فلوتن: ان من اسباب ميل الخراسانيين، وغيرهم من الإيرانيين إلى العلويين، هو أنهم لم يعاملوا معاملة حسنة، ولا رأوا عدلاً، إلا في زمن حكم الامام علي «عليه السلام» .

(١) الخوارج والشيعة ٢٢٧ و ٢٢٨ .

(٢) ربيع الأبرار ج ٣ ص ٢٢ .

(٣) روح الإسلام ص ٣٠٦ .

(٤) السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات .

٥ - وأخيراً.. فقد رأينا السودان - وهو ليسوا من العرب - يثورون ضد ابن الزبير، انتصاراً لابن الحنفية. وكان فيهم غلام لابن عمر اسمه، رباح، فلما كلمه ابن عمر، متعجباً ومستفهماً عن سبب خروجه مع الثائرين، قال:

(١)

«والله، إنا خرجنا لنردكم عن باطلكم إلى حقنا..» .

هذا كله.. عدا عن أن هذه السياسة الإسلامية الخالصة، قد أسهمت في حفظ اصول الإسلام، وفي وعي تعاليمه، وترسيخ قواعده على المدى البعيد.. ثم في تعريف الناس على أولئك الذين يحملون همّ الإسلام للإسلام، لا لأجل مصالحهم الخاصة، ولا لتحقيق مآربهم في التسلط والهيمنة على الآخرين، واستغلالهم..

فهم يعيشون الإسلام قضية، وفكراً وطريقة، ومنطلقاً، وهدفاً. ويجسدونه رسالة إلهية، وإنسانية، تنبض بالحياة، وتزخر بالمعاني السامية، والغنية في مضامينها كما هي غنية في عطائها، وروافدها.

غير العرب هم رواد العلم والثقافة:

ورغم أن السياسة الاموية القاسية تجاه غير العرب، والتي لم تكن إلا استمراراً لسياسة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب قد ارهقت غير العرب، وحرمتهم من أبسط الحقوق الإنسانية والشرعية.. فان هؤلاء الناس قد اتجهوا نحو ما هو أهم ونفعه أعم، فحصلوا على

(١) أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج ٣ ص ٢٩٥.

المجد والرفعة عن طريق العلم والمعرفة، وأقبلوا على الإسلام، وعلى النهل من معين معارفه، وآدابه، والغوص في بحار علومه وحقائقه بصورة مثيرة ومذهلة.

حتى لقد اصبحوا في مدة وجيزة هم علماء الامة، وقراء الإسلام، ودعاته، ونحن نذكر هنا النصوص التالية:

١ - قال أبو هلال العسكري عن الحجاج:

«.. وهو أول من نقش على يد كل رجل اسم قريته، ورده إليها.

وأخرج الموالي من بين العرب.. إلى أن قال:

وكان الذي دعاه إلى ذلك: أن أكثر القراء، والفقهاء، كانوا من الموالي. وكانوا جلّ من خرج عليه مع ابن الاشعث؛ فأراد أن يزيلهم من موضع الفصاحة والادب، ويخلطهم بأهل القرى؛ فيخمل ذكرهم. وكان سعيد بن جبير منهم، وكان عبد رجل من بني أسد، اشتراه ابن العاص؛ فأعتقه، فلما أتى به الحجاج، قال:

(١)

يا شقي بن كسير، أما قدمت الكوفة، وما يؤم بها [إلا]

عربي؛ فجعلتك إماماً؟ إلخ..» .

(١) هذه الكلمة ساقطة من كتاب الأوائل، لكنها موجودة في شذرات الذهب وفي

وفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٧٣.

(٢) الأوائل للعسكري ج ٢ ص ٦١ و ٦٢ وراجع: العقد الفريد ج ٣ ص ٤١٦ و

٤١٧ وشذرات الذهب ج ١ ص ١٠٩ ولم يذكر في العقد قصة سعيد بن

٢- روى الحاكم بسنده عن الزهري، قال:

قدمت على عبدالملك بن مروان، فقال لي: من أين قدمت يازهري؟

قلت: من مكة.

قال: فمن خلفت يسود أهلها؟

قال: قلت: عطاء بن أبي رباح.

قال: فمن العرب، أم من الموالي؟

قال: قلت: من الموالي.

قال: ويم سادهم؟

قال: قلت: بالديانة والرواية.

قال: إن أهل الديانة والرواية لينبغي أن يسودوا؛ فمن يسود أهل اليمن؟

قال: قلت: طاووس بن كيسان.

قال: فمن العرب، أم من الموالي؟

قال: قلت: من الموالي؟

قال: وبم سادهم؟

قال: قلت: بما سادهم به عطاء.

قال: إنه لينبغي. فمن يسود أهل مصر؟

قال: قلت: يزيد بن أبي حبيب.

قال: فمن العرب، أم من الموالي؟

قال: قلت: من الموالي.

قال: فمن يسود أهل الشام؟

قال: قلت: محكول.

قال: فمن العرب، أم من الموالي؟

قال: قلت: من الموالي، عبد نوبي، أعتقته امرأة من هذيل.

قال: فمن يسود أهل الجزيرة؟

قال: قلت: ميمون بن مهران.

قال: فمن العرب، أم من الموالي؟

قال: قلت: من الموالي.

قال: فمن يسود أهل خراسان؟

قال: قلت الضحاك بن مزاحم.

قال: فمن العرب، أم من الموالي؟

قال: قلت: من الموالي.

قال: فمن يسود أهل البصرة؟

قال: قلت: الحسن بن أبي الحسن.

قال: فمن العرب، أم من الموالي؟

قال: قلت: من الموالي.

قال: ويلك، فمن يسود أهل الكوفة؟

قال: قلت: إبراهيم النخعي.

قال: فمن العرب، أم من الموالي؟

قال: قلت: من العرب.

قال: ويلك يا زهري، فرجت عني والله، ليسودن الموالي على

العرب، حتى يخطب لها على المنابر، والعرب تحتها!

قال: قلت: يا أمير المؤمنين، انما هو أمر الله ودينه، من حفظه

ساد، ومن ضيعه سقط (١).

٣ - وعن العباس بن مصعب، قال:

خرج من مرو أربعة من أولاد العبيد، ما منهم أحد إلا وهو امام

عصره:

عبدالله بن المبارك، ومبارك عبد.

وابراهيم بن ميمون الصائغ. وميمون عبد.

والحسين بن واقد. وواقد عبد (٢).

وأبو حمزة، محمد بن ميمون السكري وميمون عبد.

(١) معرفة علوم الحديث ص ١٩٨ - ١٩٩.

(٢) معرفة علوم الحديث ص ١٩٩.

ثم ذكر الحاكم جماعة من كبار التابعين وأئمة المسلمين، كلهم من الموالي، فمن أراد الاطلاع على ذلك، فليراجع كتابه: معرفة علوم الحديث ص ١٩٩ - ٢٠٠.

٤ - ودخل محمد بن أبي علقمة على عبد الملك بن مروان، فقال: من سيد الناس بالبصرة؟

قال: الحسن.

قال: مولى، أو عربي؟

قال: مولى.

قال: ثكلتك امك، مولى ساد العرب؟!

قال: نعم.

قال: بم؟

قال: استغنى عما في ايدينا من الدنيا، واقتقرنا إلى ما عنده من العلم الخ.. (١).

وقال ابن أبي ليلى: قال لي عيسى بن موسى، وكان جائراً شديداً العصبية: من كان فقيه البصرة؟

قال: الحسن بن أبي الحسن.

قال: ثم من؟

(١) ربيع الأبرار ج ١ ص ٨١١.

قلت: محمد بن سيرين.

قال: فما هما؟

قلت: فما هما؟

قلت: موليان.

قال: فمن كان فقيه مكة؟

قلت: عطاء بن أبي رباح ومجاهد بن جبر، وسعيد بن جبير،

وسليمان

بن يسار.

قال: فما هؤلاء؟

قلت: موالى.

قال: فمن فقهاء المدينة؟

قلت: زيد بن اسلم، ومحمد بن المكندر، ونافع بن أبي نجيح.

قال: فمن هؤلاء؟

قلت: موالى.

فتغير لونه، ثم قال: فمن افقه أهل قباء؟

قلت: ربعة الرأي، وابن أبي الزناد.

قال: فما كانا؟

قلت: من الموالى.

فأربد وجهه، ثم قال: فمن كان فقيه اليمن؟

قلت: طاووس، وابنه، وهمام بن منبه.

قال: فما هؤلاء؟

قلت: من الموالي.

فانتفخت أوداجه، وانتصب قاعداً، ثم قال: فمن فقيه خراسان.

قلت: عطاء بن عبدا الخراساني.

قال: فما كان عطاء هذا؟

قلت: مولى.

فأزداد وجهه تربداً، وأسود أسوداداً، حتى خفته، ثم قال: فمن كان

فقيه الشام؟

قلت: مكحول.

قال: فما مكحول هذا؟

قلت: مولى.

فأزداد تغيضاً وحنقاً، ثم قال: فمن كان فقيه الجزيرة؟

قلت: ميمون بن مهران.

قال: فما كان؟

قال: مولى.

قال: فتنفس الصعداء، ثم قال: فمن كان فقيه الكوفة؟

قال: فوالله لولا خوفه لقلت: الحكم بن عيينة وعمار بن أبي سليمان.

ولكن رأيت فيه الشر؛ فقلت: إبراهيم، والشعبي.

قال: فما كانا؟

قلت: عربيان.

قال: الله أكبر.

(١) وسكن جأشه .

٦ - وقال عبدالرحمان بن زيد بن أسلم: لما مات العبادلة: عبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن الزبير، وعبدالله بن عمرو بن العاص، صار الفقه في جميع البلدان إلى الموالي: فقيه مكة: عطاء.

وفقيه اليمن: طاووس.

وفقيه اليمامة: يحيى بن أبي كثير.

وفقيه البصرة: السن البصري.

وفقيه الكوفة: إبراهيم النخعي.

وفقيه الشام: مكحول.

وفقيه خراسان: عطاء الخراساني.

(١) العقد الفريد ج ٣ ص ٤١٥ و ٤١٦.

إلا المدينة؛^(١) فإن الله حرسها بقرشي، فقيه غير مدافع: سعيد بن المسيّب إلخ.. . ولكن ذكر إبراهيم النخعي في جملة الموالى لا يصح، فإنه كان عربياً من النخع من مذحج.

وقد يجوز لنا أن نتساءل هنان فنقول: لماذا كانت الحراسة بقرشي لخصوص المدينة، مع أن مكة أشرف منها وأقدس، لان فيها الكعبة المشرفة، قبلة المسلمين، وبيت الله فلماذا لم يحرسها الله بقرشي، واصل قريش منها، ولعل الأصح خصها كما في معجم البلدان.

كما أننا نرى ان لنا الحق في تسجيل تحفظ فيما يرتبط بنسبة الفقاهاة إلى أكثر العبادلة، الذين ذكرت اسماءهم، ولمناقشة هذا الأمر موضع آخر.

٧ - وقال ياقوت عن أهل خراسان: «أما العلم؛ فهم فرسانه، وساداته واعيانه، ومن أني لغيرهم مثل: محمد بن اسماعيل البخاري إلخ..» .^(٢)

٨ - «ولما تكلم ابن خلدون في فصل: أن حملة العلم في الإسلام أكثرهم من العجم، من مقدمة العبر إلخ..» .^(٣)

(١) شذرات الذهب ج ١ ص ١٠٣ ومعجم البلدان ج ٢ ص ٣٥٤.

(٢) معجم البلدان ج ٢ ص ٣٥٣.

(٣) التراتيب الإدارية ج ٢ ص ٣١٨.

قال: «من الغريب الواقع: أن حملة العلم في الملة الإسلامية (١) أكثرهم العجم، لا من العلوم الشرعية، ولا من العلوم العقلية (٢) الا في القليل النادر. وان كان منهم العربي في نسبته؛ فهو عجمي في لغته، ومرباه، ومشيخته، مع أن الملة عربية، وصاحب شريعته عربي..». إلى أن قال بعد ذكره أمثلة على ذلك: «... ولم يتم بحفظ العلم وتدوينه الا الأعاجم. وظهر مصداق قوله «صلى الله عليه وآله»: لو تعلق العلم بأكناف السماء لنا له قوم من أهل فارس إلخ..» .

٩ - وقال الزمخشري:

قال قرشي: سألتني سعيد بن المسيّب عن أخوالي.

فقلت: أمي فتاة.

فنقصت في عينه؛ فامهلت حتى دخل عليه سالم بن عبدالله بن

عمر، فقلت: من أمه؟!!

قال فتاة.

ثم دخل القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق؛ فقلت: من أمه؟!!

قال: فتاة.

ثم دخل علي بن الحسين؛ فقلت: من أمه؟!!

(١) أي سواء من العلوم الشرعية، أو من العلوم العقلية، كما جرى عليه ابن

خلدون في تعبيراته.

(٢) راجع: مقدمة ابن خلدون ص ٥٤٣ - ٥٤٥.

قال: فتاة.

ثم قلت: رأيتني نقصت في عينك؛ لاني ابن فتاة!! أفما لي بهؤلاء
أسوة؟! (١)

فجللت في عينه .

١٠ - ويذكرنا موقف هذا القرشي من سعيد بموقف زيد بن علي
رضوان الله تعالى عليه من هشام بن عبدالمك، حينما قال له هشام:
بلغني: أنك تطلب الخلافة، ولست لها بأهل.

قال: ولم؟!.

قال: لأنك ابن أمة.

قال: فقد كان إسماعيل ابن أمة، وإسحاق ابن حرة وقد أخرج الله
من ولد إسماعيل سيد ولد آدم..

ولهذه القضية نصوص أخرى، فلترجع في مصادرها، التي
قدمنا شطراً منها حين الكلام على سياسة الامويين في موضوع
التمييز العنصري، فلترجع.

غير العرب.. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

هذا.. وقد رأينا أيضاً: أن غير العرب كانوا أكثر التزاماً لجانب
الحق، وأشد تحريماً واجتهاداً، والتزاماً بالشرع وأحكامه، وقد تقدم

(١) ربيع الأبرار ج ٣ ص ٣١.

كيف أن السودان - وهم ليسوا من العرب - يثورون ضد ابن الزبير، انتصاراً لابن الحنفية، وكان فيهم غلام لابن عمر، اسمه: رباح، فلما سأله ابن عمر عن الذي دعاه للخروج مع الثائرين.

(١) قال: «.. والله، إنا خرجنا لنردكم عن باطلكم إلى حقنا..» .

(١) أنساب الأشراف، بتحقيق المحمدي ج ٣ ص ٢٩٥.

الملحق:

مؤخاة سلمان مع من؟!:

وقبل أن ننهي الحديث عن سلمان، أحببنا تسجيل ملاحظة، حول ما يذكر في قضية مواخاته رضوان الله تعالى عليه فانهم يقولون: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد آخى بينه وبين أبي الدرداء (١) .
وفي نص آخر: إنه آخى بينه وبين حذيفة (٢) .
وفي رواية ثالثة: إنه «صلى الله عليه وآله» قد آخى بينه وبين المقداد (٣) .

(١) الإصابة ج ٢ ص ٦٢، والإستيعاب بهامشه ج ٢ ص ٦٠ وج ٤ ص ٥٩ والغدير ج ١٠ ص ١٠٣ و ١٠٤ وج ٣ ص ١٧٤ وقد ناقش في هذه الرواية. والسيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ١٥٢ وأسد الغابة ج ٢ ص ٣٣٠ و ٣٣١ وطبقات ابن سعد ط ليدن ج ٤ قسم ١ ص ٦٠ وتهذيب تاريخ دمشق ج ٦ ص ٢٠٣ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٨ ص ٣٧ وتهذيب الأسماء ج ١ ص ٢٢٧ وقاموس الرجال ج ٧ ص ٢٥٦ ونفس الرحمن ص ٩١ و ٨٥ عن أبي عمر، وعن المناقب للخوارزمي، الفصل ١٤. وتهذيب التهذيب ج ٤ ص ١٣٨.

(٢) طبقات ابن سعد (ط ليدن) ج ٤ قسم ١ ص ٦٠.

(٣) نفس الرحمن ص ٨٥ عن الحسين بن حمدان.

إنكار حديث المؤاخاة والإجابة عن ذلك:

أما ابن سعد، فقد قال:

«أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني موسى بن محمد، بن إبراهيم، بن الحارث، عن أبيه، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: أخبرنا محمد بن عبدالله، عن الزهري: أنهما كانا ينكران كال مؤاخاة كانت بعد بدر، ويقولان: قطعت بدر الموارديث.

وسلمان يومئذٍ في رق، وإنما عتق بعد ذلك. وأول غزوة غزاها: الخندق، سنة خمس من الهجرة^(١).

ولأجل ذلك؛ فقد عبر البلاذري هنا بقوله: «.. وقوم يقولون: آخى بين أبي الدرداء، وسلمان.

وإنما اسلم سلمان فيها بين أحد والخندق.

قال الواقدي: والعلماء ينكرون المؤاخاة بعد بعد، ويقولون: قطعت بدر الموارديث»^(٢).

«.. وقال ابن أبي الحديد: قال أبو عمر: آخى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بينه وبين أبي الدرداء، لما آخى بين المسلمين.

(١) طبقات ابن سعد (طليدين) ج ٤ قسم ١ ص ٦٠.

(٢) أنساب الأشراف (قسم حياة النبي «صلى الله عليه وآله») ج ١ ص ٢٧١.

(١)

ولا يخفى ضعفه، و غرابته» .

ونقول:

إن لنا على ما تقدم ملاحظات، نجملها فيما يلي:

أولاً: قولهم إن المؤاخاة قد انقطعت بعد بدر، لا يصح، وقد تحدثنا عن ذلك في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» ج ٣ ص ٥٩ و ٦٠ فليراجعه من أراد. فلا داعي لاستغراب هؤلاء، ولا مبرر لانكار أولئك.

وثانياً: قولهم: إن انقطاع المؤاخاة بعد بدر يلزمه عدم صحة مؤاخاة سلمان مع أحد من الناس، لا يصح كذلك، إذ لماذا لا يؤاخي قبل بدر بين سلمان وأن كان عبداً وبين رجل آخر حر.. هذا بالإضافة إلى أنه قد تقدم في أول هذا الكتاب: أنه قد أسلم وتحرر في أول سني الهجرة.

وثالثاً: أما دعوى البلاذري أن سلمان قد أسلم بين أحد والخندق، فلا تصح أيضاً لأنه إنما أسلم في أول الهجرة، كما اتضح من روايات إسلامه، نعم.. هم يقولون: إن تحرره قد كان قبل الخندق.

فإذا كان مسلماً حين المؤاخاة؛ فيمكن أن يؤاخي بينه وبين أحد المسلمين، ولو كان الطرف الآخر حراً؛ لعدم الفرق بين الحر والعبد، في الإيمان والإنسانية، وغير ذلك بنظر الإسلام..

(١) نفس الرحمن ص ٨٥ عنه.

هذا.. لو سلم أن كان لا يزال عبداً..

ورابعاً: إن الذي انقطع بدع بدر إنما هو التوارث بين الاخوة وليس نفس المؤاخاة..

مع أننا نقول أيضاً:

إن التوارث لم يكن موجوداً حتى قبل ذلك، ولعل بعض المسلمين قد توهم التوارث بين المتأخرين، فجاء الردع عنه، وتصحيح اشتباهه في ذلك، فصادف ذلك زمان حرب بدر..

فنشأ عن ذلك توهمان آخران: هما: أن التوارث كان ثابتاً.. وأن المؤاخاة تنقطع بانقطاع التوارث، وكلاهما باطل، ولا يصح..

وخامساً: قولهم: إن المؤاخاة قد كانت بين سلمان وبين أبي الدرداء.

يقابله:

١ - ما روي عن امامنا السجاد عليه الصلاة والسلام، أنه قال: «لو علم أبو نر ما في قلب سلمان لقتله، ولقد آخى رسول الله ﷺ الله عليه وآله» بينهما، فما ظنكم بسائر الخلق» .

(١) بصائر الدرجات ص ٢٥ والكافي ج ١ ص ٣٣١ والغدير ج ٧ ص ٣٥ عنهما واختيار معرفة الرجال ص ١٧ والبحار ج ٢٢ ص ٣٤٣ ومصابيح الأنوار ج ١ ص ٣٤٨ وقاموس الرجال ج ٤ ص ٤١٨ و ٤١٩. والظاهر: أن الرواية معتبرة.

٢ - عن أبي عبدالله «عليه السلام»، أنه قال: أخى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بين سلمان وأبي ذر، واشترط على أبي ذر: أن لا يعصي سلمان .

وقد ذكرنا شيئاً حول هذا الحديث في كتابنا: الصحيح من سيرة النبيّ الأعظم «صلى الله عليه وآله» ج ٣ ص ٦٨ و ٦٩ فليراجع.

٣ - إننا نعتقد: أن مؤاخاة سلمان مع أبي ذر هي الأصح، والأوفق بما يذكرونه من أن النبيّ «صلى الله عليه وآله» كان يؤاخي بين كل رجل ونظيره .

وكان أبو ذر أكثر مشاكلةً لسلمان من أبي الدرداء له؛ فإن سلمان يؤكد على أنه لا يبدأ من الوقوف إلى جانب القرآن، إذا اقتتل القرآن والسلطان، كما أن أبا ذر قد كان له موقف عنيف من السلطة، حينما وجد أنها تسير في خطٍ انحرافي خطير، فكان أن اتخذ جاب الحق، واعلن ادانته للانحراف بصورة قاطعة، كما أنه هو وسلمان قد كان لهما موقف منسجم من أحداث السقيفة، ونتائجها..

أما أبو الدرداء.. فقد أصبح من وعاظ السلاطين، واعوان الحكام المتسلطين، حتى لنجد معاوية - كردّ للجميل - يهتم بمدحه وتقريظه،

(١) الكافي ج ٨ ص ١٦٢ والبحار ج ٢٢ ص ٣٤٥ عنه، ونفس الرحمن ص ٩١.
 (٢) راجع كتابنا: الصحيح من سيرة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم (الطبعة الأولى ١٤٠٣) ج ٣ حين الكلام حول حديث المؤاخاة.

(١)

والثناء عليه .

كما أن أبا الدرداء - حسبما تقدم - يكتب لسلمان يدعوه إلى
الارض المقدّسة، وهي الشام بزعمه، وليس مكة، والمدينة ! فاقراً
واعجب؛ فانك ما عشت أراك الدهر عجباً.

ويكفي أن نذكر: أن يزيد بن معاوية قد مدح أبا الدرداء، واثني
عليه (٢) .

(٣)

كما أن معاوية قد ولاه دمشق .

بالإضافة إلى أن رسول الله - حسبما يروى - قد ذم أبا الدرداء،
وقال له:

إن فيك جاهلية.

قال: جاهلية كفر، أم جاهلية إسلام؟
(٤)

قال: جاهلية كفر .

٤ - وإذا كان سلمان قد اسلم في أول سني الهجرة، حسبما تقدم،

(١) طبقات ابن سعد (طليدن) ج ٢ قسم ٢ ص ١١٥ .

(٢) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٥ .

(٣) الإستيعاب بهامش الإصابة ج ٣ ص ١٧ وج ٤ ص ٦٠ والإصابة ج ٣

ص ٤٦ والتراتب الإدارية ج ٢ ص ٤٢٦ و ٤٢٧ .

(٤) الكشف ج ٣ ص ٥٣٧ وقاموس الرجال ج ١٠ ص ٦٩ عنه .

(١) وإذا كان أبو الدرداء، قد تأخر إسلامه إلى ما بعد أحد .. فلماذا ترك النبي «صلى الله عليه وآله» سلمان من دون أن يواخي بينه وبين أحد من الناس، في هذه المدة الطويلة كلها؟! .

٥ - وإذا أخذنا بقول الواقدي: إن «..العلماء ينكرون المؤاخاة بعد بدر، ويقولون: قطعت بدر المواريث..» .

فإن النتيجة تكون: أن العلماء ينكرون المؤاخاة بين سلمان وأبي الدرداء، لأن أبا الدرداء قد تأخر إسلام عن بدر كثيراً..

٦ - وأخيراً.. فقد جاء في بعض النصوص: أنه «صلى الله عليه وآله» قد آخى بين أبي الدرداء، وعوف بن مالك الأشجعي ولعل هذا هو الأصح، والاولى بالقبول..

كلمة أخيرة:

كانت تلك نبذة يسيرة تناولت بعض ما يذكر حول سلمان المحمدي (الفارسي) وعن موضوع التمييز العنصري، الذي عانى منه سلمان كما عانى منه غيره أيضاً.

(١) الإستيعاب بهامش الإصابة ج ٣ ص ١٦ وراجع ج ٤ ص ٦٠.

(٢) قاموس الرجال ج ٧ ص ٢٥٦ و ج ١٠ ص ٦٩ وأنساب الأشراف (قسم حياة

النبي «صلى الله عليه وآله») ج ١ ص ٢٧١ وراجع: طبقات ابن سعد ج ٤

قسم ١ ص ٦٠.

(٣) طبقات ابن سعد ج ٤ قسم ١ ص ٢٢.

وهي قد اقتصرت على النزر اليسير جداً، لأنها منذ الشروع فيها كان يراد لها: أن تكون محدودة، وموجزة، ومننقاة ولو بصورة غير متناسقة، حسب ما تقتضيه المناسبة التي فرضت التعرض لها..

ونأمل أن لا نكون قد تسببنا بشعور القارئ، بعد اطلاعه عليها بالغين، وخيبة الأمل.. حينما لا يجد فيها ما يراه بديلاً عن الوقت الذي أهدره، والجهد الذي بذله في قراءتها..

وحسبه: أنه يجد مجموعة من النصوص، عن طائفة من المصادر، حاضرة لديه، يمكنه أن يستفيد منها، إذا أراد معالجة موضوع يتصل بها..

ونسأل الله سبحانه: أن يلهنا جميعاً ويرزقنا صواب القول، وخلوص النية، وجدوى العمل، ونقاءه وبقائه، لينفنا يوم لا ينفع مال، ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم..

وأن يثيبنا على هذا الجهد المتواضع، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، إنه خير مأمول، وأكرم مسؤول..

والحمد لله، أولاً وآخراً.. وباطناً وظاهراً..

وصلاته وسلامه على عباده الذين اصطفى، محمد وآله الطيبين الطاهرين..

قم المشرفّة - إيران

حرر بتاريخ ٢٤ - رجب - ١٤٠٩ هـ. ق

١٢ - إسفند - ١٣٦٧ هـ. ش.

جعفر مرتضى الحسيني العاملي.. عامله الله بلطفه وإحسانه